لماذا الأرثوذكس الأصيلين هم فعلاً مستقيمي الرأي؟*

للأب مكسيموس (ماريتّا)

[حالياً هو أسقف معاون على كرسي بيلاغونيا]

رد على الأب باسيل غريغورياتيس وتبرير لوقف الشركة مع الأساقفة المسكونيين

حزيران ٢٠١٠

مقدمة

في كل دهر يجرّب الشيطان المؤمنين بطرق مختلفة: إضطهادات، إجتياحات من الغرباء، إغواء الإغراءات الدنيوية. من بين فخاخه الأكثر فعالية هناك البدعة والإنشقاق اللذان، بفصلهم المسيحيين عن الكنيسة، يأخذانهم بعيداً عن المسيح وإلى الخداع الروحي والإرتداد. طويلة هي لائحة الهرطقات التي امتحنت الكنيسة على مر القرون: الآريوسية، النسطورية، المونوفيزيتية، محاربة الأيقونات، البابوية، البروتستانتية، وبدع أخرى عديدة. لقد ظهرت في أيامنا هذه بدعة أخرى تسعى إلى جلب كل هذا معاً ولهذا السبب هي تدعى بجدارة بـ"البدعة الشاملة." هذه هي المسكونية، التي يمكن أن نعرّفها باختصار بالمعتقد أن الطوائف التي أعلنتها الكنيسة سابقاً أنها هرطقات ومقطوعة منها هي في الحقيقة وبطريقة ما لا تزال جزءاً منها. إن الخطر التي تشكّله المسكونية على الكنيسة هو ربما أخطر من ذلك الذي كان لأي هرطقة في الماضي، وذلك لسببين. أولاً، الجزء الأكبر من الكنيسة إلى حد بعيد قد خضع لهذه التجربة. ثانياً، إن تأثير

المسكونية هو لرفض المفهوم الأساسي "للأرثوذكسية" و"للهرطقة" كما فهمتهما الكنيسة منذ بدايتها.

بالرغم من انتشار المسكونية، استمرّت هناك في معظم الكنائس المحلية بقية من المؤمنين ثابتة في استقامة الرأي. هؤلاء المسيحيون الأمناء يُعرفون بـ"الأرثوذكس الأصيلين،" "الأرثوذكس التقليديين،" أو أحياناً "ذوي التقويم القديم." يُستخدم هذا الإسم الأخير لأن من أولى مظاهر المسكونية كان تغيير تقويم الكنيسة الليتورجي ليتوافق مع ذلك الذي للبابويين والبروتيستانت. وبما أن التقويم البابوي كانت قد أدانته الكنيسة منذ زمن طويل، رفضه الأرثوذكسيون حين تبنّاه ذوي التقويم الجديد وقطعوا المناولة (الشركة) مع الأساقفة الذين روّجوا له.

الأمر المقلق تقريباً كبدعة المسكونية ذاتها هو أن العديد من الأشخاص الذين لديهم معتقدات مستقيمة الرأي قد استمروا تحت أساقفة مسكونيين، بالرغم من أنهم يعارضون بشدة أولئك الأساقفة في أمور الإيمان. بداعي السهولة يمكننا أن نلقّب هؤلاء "ذوي التقويم الجديد المتحفّظين" بالرغم من أنه يُفضّل وصفهم بـ"أتباع الأرثوذكسية الدنيوية المتحفّظين،" لأن الكثير منهم لا يزالون يتبعون التقويم الأبائي. تحت هذا الإسم أو ذلك، لديهم تاريخ حافل بفشلهم في دعم أولئك الذين يتبعون تقاليد الأباء، بمهاجمتهم بعنف أنهم منشقين، وبالإدّعاء أنه وبالرغم من أن المسكونية هي خطأ، هي ليست بذلك الخطأ الذي يتطلّب الإنفصال عن أساقفة يبشرون بها ويرعونها. لقد كُتب عدد من التهجّمات اللاذعة من قِبل هؤلاء الناس ضد المؤمنين الذي أوقفوا المناولة (قطعوا الشركة) مع الأساقفة المسكونيين. ربما الأكثر انتشاراً منها مقالاً كتبه منذ عدة سنوات الأب باسيل غريغورياتيس بعنوان: "مناقض للأباء: موقف ذوي التقويم القديم

الغيورين." هذا الهجوم العنيف تقريباً يجمع كل الحجج المستخدمة ضد ذوي التقويم القديم؛ وبالتالي تفنيدها يتضمّن تبريراً كاملاً لموقف المستقيمي الرأي ودحضاً لمنتقديهم.

مكتوب في الأسفار المقدسة، "وَبِّخْ حَكِيمًا فَيُحِبَّكَ. أَعْطِ حَكِيمًا فَيَكُونَ أَوْفَرَ حِكْمَةً. عَلِّمْ صِدِّيقًا فَيَزْدَادَ عِلْمًا."[1] أمل هذا الكاتب أن قرّاء هذا الرد، إذ هم حكماء، سوف يدركون أخطاء الأب باسيل ومن يشبهه في فكره، سوف يوقفون المناولة مع المسكونيين، وسوف يتبّنون موقف الآباء القديسين.

الجزء الأول: معطيات قانونية: وضع الهراطقة الغير مدانين

قبل أن نتمعّن بأي هرطقة معينّة، من منفعتنا أن نطرح تعاليم الكنيسة بخصوص الهرطقة بشكل عام؛ وخاصة أن هذا الأمر يشكّل صلب حجة الأب باسيل. هل الهراطقة، قبل أن يدينهم مجمع كنسي، هم جزء من الكنيسة؟ وهل هو ضروري، مسموح، أو ممنوع أن يكون هناك شركة (مناولة) معهم؟ بمعالجتنا لهذه الأسئلة، نلجأ إلى ثلاثة مصادر سُلطوية: قوانين الكنيسة، كتابات الآباء القديسين، وممارسة الكنيسة الفعلية عبر التاريخ. هنا سوف نتمعّن بالقانونين الأكثر صلة بموضوعنا. الأول والأقل وضوحاً هو قانون الرسل رقم ٣١، الذي يمنع المسيحي من الإنفصال عن أسقفه إلاّ عندما يتعدى الأسقف على "التقوى والعدالة." بما أن الأساقفة المسكونيين قد تعدّوا بطرق عديدة على التقوى والعدالة (حتى وحين تكون هذه المصطلحات معرّفة في أضيق معنى ممكن)، هذا القانون، بالرغم من لغته العامة، هو بحد ذاته يبرّر الأرثوذكس بقطع الشركة مع المسكونيين.[2] القانون الثاني والأكثر وضوحاً هو القانون ١٥ من المجمع الأول–الثاني، والذي يقول:

أما بالنسبة لأولئك الأشخاص...الذين بداعي بدعة ما أدانتها المجامع أو الآباء القديسين، يعزلون أنفسهم من الشركة مع رئيسهم الذي يبشر بالبدعة علناً وبوضوح في الكنيسة، هؤلاء الأشخاص ليس فقط لا يخضعون لأي جزاء قانوني بداعي أنهم عزلوا أنفسهم عن أي وكل شركة مع ذلك الذي يسمى أسقفاً قبل صدور أي حكم مجمعي، لا بل بالعكس سوف يُعتبرون مستحقين الإكرام الذي يليق بهم بين المسيحيين الأرثوذكسيين. لأنهم لم يتحدّوا أساقفة بل أساقفة–كذبة ومعلمون–كذبة؛ وهم لم يفصموا وحدة الكنيسة بأي إنشقاق، بل بالعكس، هم كانوا مواظبون على إنقاذ الكنيسة من الإنشقاقات والإنقسامات.[3]

يقدم هذا الحُكم الأساس القانوني (الذي يتميز عن الآبائي والتاريخي) الأول لموقف كنيسة التقويم القديم ضد الأرثوذكسية الدنيوية. معظم الهجمات العنيفة ضد المسيحيين الأرثوذكسيين أتباع التقويم القديم تضمّن تشويه وتهميش وتهوين أو بكل بساطة تجاهل لهذا القانون، كما سنرى من التوكيدات التالية للأب باسيل.

التوكيد الأول (١): الهراطقة الذين تمّت إدانتهم من قِبل مجمع هم خارج الكنيسة ولا يحق لأي مسيحي أرثوذكسي أن يكون في شركة معهم. أولئك الذين يفعلون ذلك يقعون تحت ذات القيود كالهراطقة أنفسهم.

الجواب: هذا التوكيد الأول والشرعي يطرحه الأب باسيل ليس لأي غاية إيجابية، لكن بهدف إضعاف ثقة أولئك الذين يوقفون الشركة مع هرطوقي لم تتم إدانته بواسطة مجمع. في الحقيقة، إن الفقرات التي يذكرها من الآباء لدعم هذا التوكيد الشرعي هي لا تدل على "الهراطقة المدانين" لكن ببساطة على هراطقة بشكل عام. والنصوص التي يذكرها لا تميز بين الهراطقة التي تمت إدانتهم من قِبل مجمع وأولئك الذين لم تتم إدانتهم. وذلك ليس مفاجأً، **لأنه ليس هناك من قوانين أو نصوص آبائية تعلن أنه يجب على المرء أن يبقى في شركة مع الهراطقة لم تتم إدانتهم**

بعد من قِبل مجمع. بالأحرى العكس هو الصحيح: فالأسفار المقدسة والآباء يقولون أن الهرطوقي، بمجرد نتيجة هرطقته، يدين نفسه. القديس بولس في رسالته إلى تيطس، يعلن بوضوح: "اَلرَّجُلُ الْمُبْتَدِعُ بَعْدَ الإِنْذَارِ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ، أَعْرِضْ عَنْهُ عَالِمًا أَنَّ مِثْلَ هذَا قَدِ انْحَرَفَ، وَهُوَ يُخْطِئُ مَحْكُومًا عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ."[4] يتم التوسّع على هذه الآية بشكل كبير في كتابات الآباء مثل القديس كبريانوس القرطاجي الذي طرح في القرن الثالث تعليم الكنيسة الحاسم حول هذه المسألة. فهو يقول أن "الهرطوقي هو محكوماً عليه من نفسه"[5] و"مطروداً خارج ينابيع الفردوس."[6]

مجدداً، إذا في كل مكان يُدعى الهراطقة لا شيء سوى الأعداء وأضداد المسيح. إذا تم الإعلان عنهم أنهم أناس يجب تحاشيهم، **وأنهم منحرفون ومحكوماً عليهم من أنفسهم**، لماذا يجب ألّا نعتقدهم غير مستحقين الإدانة من قِبلنا لأنه واضح من الشهادة الرسولية **أنهم محكوماً عليهم من أنفسهم؟**[7]

القديس كبريانوس لا يسمح لعدة معتقدات بأن تتواجد مع بعضها البعض ضمن الكنيسة. الكنيسة لديها إيمان واحد فقط. ولا هو يسمح للهراطقة بأن يتواجدوا في الكنيسة: إذا أحدهم أصبح هرطوقي، حسب التعريف هو يصبح خارج الكنيسة. ويؤكد القديس فيرميليان قيصرية هذا المعتقد حين يكتب، "من الواضح ان جميع الهراطقة أدينوا بأنفسهم، وهم أعلنوا ضد أنفسهم حكماً حتمياً قبل يوم الدينونة."[8]

يشدد القديس كبريانوس على هذه النقطة مراراً وتكراراً: الهراطقة هم خارج الكنيسة بفضل هرطقتهم. وبالتالي، يشرح الرسول بولس ويعلم ويأمر أن رجل البدعة يجب تحاشيه...كمحكوماً على نفسه. لأن ذلك الإنسان سوف يكون مذنباً بتدمير نفسه، الذي،

إذ لم يطرده الأسقف خارجاً، لكنه من تلقاء نفسه هجر من الكنيسة يكون محكوماً على نفسه بالهرطقة.[9]

هناك عدة أمثلة من تاريخ الكنيسة وسير القديسين التي تظهر أن الكنيسة تنظر إلى الهراطقة بأنهم خارج الكنيسة حتى قبل إدانتهم من قِبل مجمع. في **المناظرة مع بيرّوس** للقديس ماكسيموس المعترف، نقرأ أن بطريرك المونوثيليت بيرّوس رجع عن خطإه وهكذا "اتّحد مع الكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية."[10] حصل هذا الأمر عام ٦٤٥، قبل مجامع قرطاجة المحلية (التي انعقدت لاحقاً في تلك السنة ذاتها) وقبل مجمع روما (المنعقد عام ٦٤٩) وقبل بكثير من المجمع المسكوني السادس المنعقد عام ٦٨١، والتي جميعها وضعت الأناثيما على بدعة المونوثيليت (المشيئة الواحدة).[11] مجدداً يعلن القديس القديس ماكسيموس بخصوص أتباع المونوثيليت،

> "لقد عزلوا أنفسهم تكراراً عن الكنيسة وهم غير موزونين تماماً في الإيمان. إضافةً، لقد فصلهم المجمع المحلي المنعقد في روما وجرّدهم من كهنوتهم. أي أسرار إذاً يمكنهم القيام بها؟ أو أي روح ينحدر على من يقومون برسامته؟ [12]

كذلك الأمر، القديس هيباتيوس، وهو كان رئيس دير في القسطنطينية، يقول عن نسطوريوس الهرطوقي، "منذ أن علمت أنه تفوه بأمور آثمة عن الرب لم أعد في شركة معه ولا أذكر إسمه، **لأنه ليس أسقفاً**."[13] وأُعلن هذا الأمر قبل أن يدان نسطوريوس في المجمع المسكوني الثالث.

ومرة أخرى، قبل عدة سنوات من المجمع المسكوني السابع، قال القديس ستيفانوس الجديد لثيودوسيوس أسقف محاربي الأيقونات،

هكذا هي قراراتك ضد تكريم الأيقونات المقدسة، والتي يروّج لها ليس أولاد الكنيسة الجامعة بل الزناة الملحدون. أكيدٌ هو قول النبي: رؤساء الشعوب اجتمعوا مع الرعاة الكذبة والأجراء ضد المسيح وأيقونته المقدسة![14]

في حقيقة الأمر، الجلسة الأولى من المجمع المسكوني السابع خُصّصت بأكملها إلى معالجة موضوع كيفية قبول محاربي الأيقونات مجدداً في الكنيسة. فقد افتُرض أن الهراطقة قد سبق وأصبحوا خارج الكنيسة قبل بداية المجمع، كما تُظهر ذلك بوضوح توسّلات الأساقفة الهراطقة:

ثم جُلب ثيودوروس، أسقف ميرا. فقال: "حتى انا، خاطئ وغير مستحق، إذ قمت باستفسار وبحث عميقين، وإذ اخترت ما هو أفضل، أتضرع إلى الله وإلى قداستكم لكي من بين الآخرين أتحد أنا أيضاً مع الكنيسة الجامعة، بالرغم من أنني خاطئ." فقال إفثيميوس أسقف ساردیس، "تبارك الله الذي ضمّه إلى الكنيسة الجامعة." وبعدها قال يوحنا، مبعوث الكرسي الأنطاكي، "أيها الأب الفائق قدسه، إنه سؤال يُتداول بين الكثير منا عن ماهية الطريقة التي يجب أن نقبل بها من يعودون من الهرطقة؛ لذلك نطلب من هذا المجمع المقدس أن يأمر بحضور كتب الأباء القديسين لكي نبحث فيها وندرسها وهكذا نحصل على التأكيد الكامل عن كيفية قبول هؤلاء الأشخاص، لأن عقولنا لم تقرر بعد على هذه المسألة."[15]

وبعدها قرأ المجمع عدة شهادات عن كيفية قبول الهراطقة في الماضي، دون التمييز بين أولئك الذين أدانهم مجمع وأولئك الذين لم يدينهم. هذا الأمر يُظهر بكل وضوح أن أباء المجمع لم يفرّقوا بين الإثنين في هذه المسألة. وفي سياق الحديث، أعلن يوحنا، نائب الكرسي الأنطاكي: "'البدعة تفصل كل رجل عن الكنيسة.' فأجاب المجمع المقدس، 'هذا واضح جداً'"[16] هذه الملاحظة لا تزال واضحة للأرثوذكس الأصيلين، لكن يبدو أن الأب باسيل ورفقته قد نسوها.

في نهاية النقاش، هتف المجمع المقدس:

ليتقدم الآن الأساقفة وليقرأوا عدولاتهم العديدة، بما أنهم الآن يرغبون دخول الكنيسة الجامعة." أجاب طرازيوس، "فليقرأوا [عدولاتهم] الآن بما أن هاتين النقطتين قد تم فحصهم بالكامل – أي قبول أولئك الذين يأتون من صفوف الهرطقة إلى الكنيسة الجامعة المقدسة، وأيضاً أولئك الذين تمت رسامتهم على أيدي هراطقة."[17]

فقرأ الهراطقة عدولاتهم، ثم قال طرازيوس، "بما أنهم من خلال عدولاتهم قد أعلنوا مهنتهم، فليتم قبولهم في جلسة ما عتيدة إذا لم يكن هناك أي سبب يعيق ذلك."[18]

وأخيراً، أعلن المجمع رسمياً في تعريفه للإيمان الموقف الأرثوذكسي تجاه الهراطقة الذين لم تتم إدانتهم من قِبل مجمع قائلاً: "لأنهم [أي محاربي الأيقونات] قد تجرأوا على تشهير جمال التقدمات المقدسة والتي تليق بالله، إذ أنهم يدعون 'كهنة' بينما في حقيقة الأمر هم ليسوا كذلك."[19]

بما أن محاضر المجمع المسكوني السابع المذكورة أعلاه تعكس، وعلى أعلى مستوى، مفهوم الكنيسة لوضع الهراطقة الغير مدانين من قِبل مجمع، ذلك المفهوم يجب أن يُعتبر غير قابل للجدل بالنسبة للأرثوذكس. أن نلتزم، كما يفعل الأب باسيل، بأن هؤلاء الهراطقة الغير مدانين يبقوا أعضاء في الكنيسة هو أمر يناقض تماماً موقف المجمع السابع.

التوكيد الثاني (٢): يجب على مجمع مسكوني أن يدين أولئك الذين يبشرون بالبدعة لكي يتبرر المستقيمو الرأي في فصلهم الشركة مع الهراطقة.

الجواب: إن التفنيد المباشر لهذا التوكيد من قِبلنا هو ليس ضروري، بما أن الأب باسيل هنا يتخلى عن رأيه عندما يعترف لاحقاً أن الإدانة من مجمع محلي تكفي لتبرير الإنفصال عن الهراطقة. ومن ثم هو يذهب أبعد من ذلك، إذ يعترف أن في بعض الحالات المعينة قد تم فعلاً وقف الشركة مع الهراطقة قبل أي نوع من الإدانة المجمعية، وهذا ما يسمح به القانون ١٥ من المجمع

الأول–الثاني. مع ذلك، هو يخوّل هذه الإعترافات بالتظاهر أن "ولا أي قانون ولا الأباء القديسين **فرضوا** يوماً على المؤمنين الأرثوذكسي وقف الشركة الكنسية مع الهراطقة، قبل قرار مجمعي." سوف نعود إلى هذا الرأي قريباً.

من ما سبق أعلاه يتضح أنه وبالرغم من أنه لا يتقلص عن تسمية الأرثوذكس بالمنشقين لأنهم فصلوا أنفسهم عن الأساقفة المسكونيين قبل أن يُدان أولئك الأساقفة من قِبل مجمع، الأب باسيل هو مرتبك جداً حول المعايير الحقيقية التي تبرر هكذا انفصال. هو يقر أنه، في الماضي، فصل المستقيمي الرأي أنفسهم بعدل عن الهراطقة تحت ظروف شبيهة بتلك السائدة اليوم. لكنه ينكر أن أرثوذكس يومنا الحالي يمكنهم القيام بذلك.

من هذا المنطلق، القانون ١٥ من المجمع الأول–الثاني يمدح أولئك الذي يوقفون الشركة مع الهراطقة. يتضح من هذا الأمر أن هؤلاء الناس يتصرفون بصواب، وليس خطأً، وإنها خطيئة كبرى التنديد بهم لسيرهم وفقاً لنصائح القوانين والآباء القديسين. نذكر هنا أن إثنان من أساليب الكنيسة الأساسية في التفسير هما المديح والقدح. فالكنيسة تمدح أولئك الذين يرشدون أولادها إلى الله؛ وهي تدين الذين يبعدون أولادها عن الله. موافقتها على أولئك الذين يعزلون أنفسهم عن الأساقفة المبتدعين هي شهادة قوية على الواقعة أن موقف ذوي التقويم القديم يشجعه التقليد المقدس.

يتضح حتى من أسرع قراءة للقانون أن الأرثوذكسيون **يتاح** لهم الإنفصال عن أسقف يبشّر بالهرطقة. من هنا نستنتج أن كلّما الأساقفة اعترفوا علناً بالبدعة، يكون الأرثوذكس أوتوماتيكياً مبرّرين بوقف الشركة معهم. وهنا نصل إلى النقطة المركزية. إن موقف الكنيسة

الأرثوذكسية هو في الواقع أقوى بكثير: **هو ليس فقط أمراً يستوجب المديح، لكنه واجباً تماماً الإنفصال عن أساقفة مهرطقين.**

القراءة الحذرة تُظهر أن هذا هو بالضبط ما يتطلبه القانون، لأنه يوصف الأساقفة الذين ينشرون البدعة بـ"الأساقفة الكذبة" و"المعلمين الكذبة." هكذا لغة يمكن أن تعني فقط أن هؤلاء الأساقفة هم الذين "شقّوا" الكنيسة؛ أي أنهم سقطوا من الكنيسة. **لهذا السبب هم لم يعودوا أساقفة إطلاقاً بل "أساقفة كذبة": أساقفة بالإسم فقط.** لطرح الموضوع ببساطة أكثر، لو كانوا أساقفة مستقيمي الرأي وأصيلين، عندها لن يكونوا أساقفة كذبة. والواقعة أن القانون يلجأ إلى هكذا لغة قوية تفرض على الأرثوذكس أن ينفصلوا عن "أساقفة" هراطقة. لأنه لكي ينتمي إلى الكنيسة، على المرء أن يكون تحت أساقفة هم أنفسهم جزءاً من الكنيسة.

إنها كارثة روحية أن يبقى المرء في شركة مع أسقف لا يفصّل باستقامة كلمة الحق. الأسقف هو الذي يعلّم ويرشد الناس إلى المسيح. لكنه إذا يعلّم زوراً، هو يرشد الناس بعيداً عن المسيح. هو أيقونة المسيح، وهو في موقعه كأسقف **مستقيم الرأي** يعلّم بدلاً عن المسيح. فالدفاع عن البقاء في الشركة مع أسقف **هرطوقي** فقط لأنه لم تتم إدانته من قِبل مجمع هو قلب لمفهوم الأسقفية في الكنيسة بأكمله أو حتى جعله لاغياً. فضيلة وإيمان العلمانين لا تصحح غياب أرثوذكسية إيمان الأساقفة؛ بالأحرى، المعتقد الخاطئ عند الأساقفة يلوّث العلمانيين. في الممارسة، نرى هذا الأمر يحصل في كنائس المسكونيين، حيث أُشبع العلمانيون من البروباغندا المسكونية لفترة طويلة لدرجة أن الأغلبية منهم ليس لديهم ولو معرفة محدودة عن ماهية التعليم الأرثوذكسي الأصيل المختص بما يشكّل الكنيسة. ولكن حتى في الأمكنة حيث النهج ليس عارياً ولا متقدماً لهذه الدرجة، الواقعة بحد ذاتها أن العلمانيون يقبلون بهؤلاء الأساقفة الكذبة

تعني بالضرورة أنهم يقبلون ضمنياً ويرضخون إلى معتقد أساقفتهم الخاطئ. إنه في هذا السياق تحديداً يكتب القديس كبريانوس القرطاجي:

> نجد أن في هكذا حالة من الخبث، ليس فقط القادة والمسبّبين، بل أيضاً المشاركون (في الأسرار) مصيرهم العقاب، إلاّ إذا عزلوا أنفسهم من الشركة مع الخبثاء؛ كما يأمر الرب بواسطة موسى ويقول، 'اعْتَزِلُوا عَنْ خِيَامِ هؤُلاَءِ الْقَوْمِ الْبُغَاةِ، وَلاَ تَمَسُّوا شَيْئًا مِمَّا لَهُمْ لِئَلاَّ تَهْلِكُوا بِجَمِيعِ خَطَايَاهُمْ.' (سفر العدد ١٦:٢٦). والذي هدد به الرب بواسطة موسى حقّقه، إذ أن كل من لم يعزل نفسه عن قورح وداثان وأبيرام تكبّد العقاب فوراً بسبب شركته العاقة. بهكذا مثال يتجلى ويُبرهن لنا أن الجميع سوف يكونون عرضة للذنب وعقابه، الذين بوقاحة زنديقية يختلطون أنفسهم مع المنشقين بمواجهة الأساقفة والكهنة...جميعهم ينضمون تماماً إلى القادة في العقاب، إذ تلوثوا في جريمتهم.[20]

عدا عن ذلك، لنتمعّن بعدد قليل من التشويشات التي لا تحصى والتي تنشأ إذا كان مسموحاً لكن ليس إلزامياً وقف الشركة مع أساقفة هراطقة. سوف توجد مجموعتان، جنباً إلى جنب، لكن خارج الشركة مع بعضهم البعض: إحداها يترأسها أساقفة أرثوذكسيين، وأخرى يترأسها هراطقة. أي من هاتين الإثنتين هما الكنيسة؟ أو إذا كلاهما يشكلان الكنيسة، ألا يجدر أن يكونا في شركة مع بعضهم البعض؟ لكن عندها سوف يكون أمراً يستحق المديح أن يكون الأرثوذكس في شركة مع الهراطقة، بينما قد سبق ورأينا أن القوانين تمدح الأرثوذكسيين لقطعهم الشركة مع الهراطقة. مجدداً، إذا كان الأساقفة المبتدعين ما زالوا مستقيمي الرأي إذا لم تتم إدانتهم من خلال مجمع، عندها كيف يمكن للمرء أن يتجرأ أن يقطع الشركة معهم كما فعل القديسون؟ وكيف يمكن لفريق يترأسه أساقفة هراطقة علنيين أن يكونوا الكنيسة، التي وكما يعلّم الرسول، هي **عمود الحق وقاعدته؟**[21]

قد تكون هذه التشويشات مثيرة للإهتمام وذات أهمية، ولكن بالرغم من ذلك هي تبقى إلى حد كبير لا صلة لها بالوضع الحالي، لأن الهرطقات المعنية قد سبق وتمت إدانتها مجمعياً. التقويم الغريغوري وُضعت الأناثيما عليه عام ١٥٨٣ وعدة مرات بعد ذلك، بينما المسكونية قد تمت إدانتها من قبل الكنيسة الروسية في المهجر عام ١٩٨٣. الآن قد يتخيل البعض أن الأناثيما التي وُضعت في الماضي يجب أن "يفرضها ثانية" مجمع معاصر لكي تكون شرعية. لو كانت هذه هي الحال، يتوجب علينا أن نؤكد أنه لو أصبح أحدهم مونوفيزتياً أو كاثوليكياً اليوم، هو يبقى جزءاً من الكنيسة إلى حين أن يقوم مجمع معاصر من الأساقفة بإعادة فرض الأناثيمات القديمة عليه، الأمر الذي هو سخيف. هذا يعني أن الحقيقة لديها تاريخ انتهاء صلاحية؛ وأن الكنيسة، ولكي تضمن أن ولا هرطوقي واحد يبقى داخلها، عليها أن تعقد مجمع مسكوني كل سنة أو حتى أكثر ترداداً من ذلك ربما. ولكن حقيقة الأمر هي أن الأناثيما، بمجرد أن أُعلنت، تبقى فاعلة إلى الأبد ضد كل من يقع تحت وطأتها. فعاليتها لا تعتمد على إعادة تفعيلها من مجمع جديد كل مرة فرد أو مجموعة يعتنقون الهرطقة المعنية. هذا الأمر تدعمه قرارات المجمع المسكوني السادس الذي أعلن، "إلى أولئك الذين علّموا ويعلّمون وسوف يعلّموا أن هناك مشيئة واحدة وقوة واحدة في شخص يسوع المسيح المتجسد، فليكونوا أناثيما!" بمعنى آخر، ليس فقط الهراطقة الأحياء، بل كل من في أي زمن في المستقبل يتبنّون الهرطقة هم تحت طائلة الأناثيما. هذا يفسّر لماذا الكنيسة تعتبر الأناثيمات المعلنة في القرن السادس عشر ضد أولئك الذين يقبلون بالتقويم الجديد بأنها صالحة وملزمة اليوم تماماً كما كانت حين صدرت؛ لهذا السبب أتباع التقويم الجديد المعاصرين يجب أن يُعتبروا بأنهم تحت الأناثيمات الموجودة سابقاً والتي تعلن أن كل من يقبل بالتقويم الجديد هو خارج الكنيسة.

التوكيد الثالث (٣): بين الظهور الأول للبدعة وإدانتها الأخيرة قد تمر فترة من الزمن، تسعى خلالها الكنيسة لجلب الأساقفة العصاة مجدداً إلى معتقد إيمان صحيح.

جواب: من البديهي أن بطبيعة الأمور يجب أن يمر زمن بين ظهور البدعة وإدانتها. ومن الطبيعي أن الإدانة لن تسبق ابتكار الهرطقة. بطريقة ما من هذه الحقيقة الواضحة يستنتج الأب باسيل دون أي أساس أنه من الغير مسؤول وقف الشركة مع أساقفة هراطقة قبل أن تتم إدانتهم مجمعياً. أما ما هو خط العمل الصحيح فقد سبق وأريناه.

هنا ينشأ سؤال مثير للإهتمام: تحديداً متى يجب أن تحصل إدانة الهراطقة مجمعياً؟ رداً على هذا، الأب باسيل غير قادر أن يعطينا جواباً متماسكاً. هو فقط يستطيع أن يصر أن كل من وقف الشركة والإدانة المجمعية يجب تأجيلهما طالما أمكن. هذا التوكيد (هو بالكاد يكون حجة) يمكن بكل سهولة تقليصه إلى مستوى السخافة كما يلي: من الأفضل أن تكون ضمن الكنيسة عوضاً عن خارج الكنيسة. لكن (وفقاً للأب باسيل) يبقى الهرطوقي داخل الكنيسة إلى أن يدينه مجمع. وبالتالي، يجب على الكنيسة دائماً أن تمتنع عن إدانة أساقفة هراطقة، لكي لا تضعهم وأتباعهم الأبرياء خارج الكنيسة. لأنه وفقاً للاهوت الأب باسيل، الوضع الكنسي للهراطقة يعتمد على نزوة الأرثوذكسيين – على ما إذا كان الأرثوذكس يختارون أن يدينوا بدعة معينة – وليس على معتقدات الهراطقة أنفسهم. وبما أن الأب باسيل سوف يستثني الهراطقة من عضوية الكنيسة فقط على أساس إدانتهم من قِبل مجمع عوضاً عن معتقد إيمانهم، هكذا مجمع نظرياً قد لا ينعقد أبداً إذا أراد الأرثوذكس أن يستمروا في "إيكونوميتهم" (تساهلهم) تجاه الهراطقة إلى الأبد. كل هذا هو لأن الأب باسيل يصر على تفرّع ثنائي وهمي بين المعتقد المستقيم الرأي والعضوية في الكنيسة.[22]

الآن، الأب باسيل يفسّر الفترة الإنتقالية الحتمية التي تسبق وقف الشركة مع الهراطقة كتمرين في الإيكونومية. إنه فعلاً تعقّلاً وإيكونومية شرعية أن نمتنع عن الإنفصال عن الأساقفة حتى يحقّق المرء بشكل مؤكد أنهم هراطقة. ولكن، إذا في هذا السياق فُهمت الإيكونومية كواجب للحفاظ على الوحدة مهما كان الثمن، عندها يكون مفهوم الكنيسة لذاتها قد انتهك. لقد جُعلت الوحدة فوق الحقيقة؛ ونظام اللاهوت قد تم قلبه رأساً على عقب. لأن الوحدة تنبثق من الحقيقة وليس الحقيقة من الوحدة؛ وهذا المفهوم الأخير هو تفكير رغبة المسكونيين. من هذه النقطة، يُعتبر الأب باسيل أنه يروّج ليس لإيكونومية شرعية بل لتعسّف خطير؛ في الحقيقة لفرع من بدعة المسكونية. لأن المسكونية هي مودة روحية مع من يؤمنون غير ما نؤمن به. لذلك، هؤلاء الذين يقولون أنهم يرفضون المسكونية لكن يلتزمون الشركة مع المسكونيين ينطبق عليهم تماماً التعريف أنهم مسكونيون أنفسهم.

السبب الرئيسي للتأخير الذي يسبق وقف الشركة مع البدعة هو للسماح للوقت لتخمين البدعة نفسها. أحياناً لا يكون الأمر واضحاً أن البدعة قد ترسّخت بكل تأكيد بين هؤلاء الذين حتى مؤخراً كانوا أعضاء في الكنيسة. قبل أن يقطع الأرثوذكسيون الشركة مع الهراطقة، يجب أن تحصل عدة أمور. أولاً، على المستقيمي الرأي أن يدركوا أنه فعلاً هناك بدعة يتم التبشير بها. هم يبحثون على برهاناً إيجابياً عن هذه البدعة ولا يأخذون قراراً بناءً على تلميحات. بالرغم من أن هذا قد يبدو أمراً طبيعياً، يصعب على القارئ المعاصر ان يتخيل بطء السفر وصعوبة التواصل في عالم الأزمنة القديمة والقرون الوسطى، حيث يمكن للمعلومات أن تأخذ أشهر أو حتى سنين لتصل من مكان إلى آخر، وغالباً ما تم نقلها بشكل محرّف. بعد ذلك، يقوم الأرثوذكسيين، سوياً الكهنة وملء المؤمنين لكن خاصةً القديسين، ويحققون إذا ما كان هناك

هرطقة فعلية يتم نشرها، أو إذا كان هناك مجرد تعسّف عرضي ما يحصل. إضافةً، يحددون إذا كانت البدعة يتم التبشير بها عن قصد، أو ببساطة بداعي الجهل أو الإستعمال الطائش للّغة. وأخيراً يقوم المستقيمي الرأي ويوبّخون الهراطقة علناً، والهراطقة يجاوبون برفض أو أقلّه تجاهل التعليم المستقيم الرأي المختص بالمسألة المعنية.

هذه الخطوات تدل أن وقف الشركة مع الهراطقة هو نهج قد يستغرق سنوات ليكتمل. فعلاً، قد يصل جزءاً من الكنيسة إلى إدراك للأمور قبل الجزء الآخر، لدرجة أنه قد يكون هناك زمن حيث كنيسة محلية واحدة تكون في الوقت ذاته في شركة سوياً مع الهراطقة ومع الأرثوذكسيين الأكثر غيرةً أو إدراكاً أو الحسني الإطّلاع الذين سبق لهم وأوقفوا الشركة مع الهراطقة. أحياناً أيضاً خليفة لأسقف قام بإعلان بدعة يتراجع عن تلك البدعة، إلى أن يأتي خلَفه ويعلنها مجدداً؛ أو يقوم أسقف ويكرّم علناً كهنة يبشّرون بالبدعة دون أن يعتنق هو بشخصه أي موقف هرطوقي معيّن، وهلمّ جرى، وكل هذا يخلق التشويش ويؤخر المزيد من الوقت (أو يسرّعه كما تقتضي الحال) الذي يحتاجه المستقيمي الرأي لوقف الشركة مع الأسقفية المهرطقة. مسار الإنقسام غالباً ما قد يمتد لفترة، وقد يدخل الضمير الأوسع للكنيسة فقط تدريجياً. من الطبيعي أنه إذا كان سيكون هناك أي تأثير في هذا المجال للتسريع المعاصر لإيقاع الحياة بشكل عام وللإتصالات بشكل خاص، فإن هذا سوف يعجّل السرعة التي فيها ستدرك الكنيسة البدعة وتتفاعل معها.

ومع ذلك، يأخذ الأب باسيل فترة الزمن هذه التي تستغرقها الكنيسة لتدرك أن هناك بدعة يتم نشرها ويستقرئ منها قاعدة حيث المؤمنون، الذين يدركون تماماً الخطأ في البدعة

المعنية، يُطلب منهم البقاء في الشركة مع الهراطقة. إن هذا الأمر هو تشويه، هو تفسير مضل وغير شريف للتاريخ يحرّف أفعال الآباء القديسون ليعنوا عكس ما كانوا يقصدونه بالضبط.

التوكيد الرابع (٤): من الغير مسموح وقف الشركة بداعي مخالفة القوانين (مثل الصلاة مع الهراطقة، إلخ) وليس بداعي البدعة بحد ذاتها.

جواب: هذا الكلام قد يكون صحيحاً وقد لا يكون، حسب الظروف المعينة (وهذا نقاش بحد ذاته يمكن أن يكون موضوع أطروحة). ولكن إذا افترضنا أن التوكيد هو صحيحاً في الحالة الحالية، هو بالرغم من ذلك لا صلة له بالموضوع، لأننا أوقفنا الشركة مع ذوي التقويم الجديد والمسكونيين تحديداً لأنهم هراطقة، وليس لمجرد أنهم يخالفون القوانين بشكل فاضح.

مع ذلك، تجدر الإشارة أن القوانين تُكتب بغايات وافتراضات مختلفة. بعض القوانين تعالج الأخلاقيات، أخرى الإدارة وأخرى غيرها تعالج النظام الكنسي الصحيح. هناك قوانين معينة تعالج علاقة المسيحيين مع الهراطقة والوثنيين: هذه القوانين ليس مجرد قواعد للنظام الكنسي، لكنها تعابير عملية عن إكليزيولوجية الكنيسة ومفهومها لذاتها. مخالفة مثل هذه القوانين يدل على عدم إدراك أو حتى رفض لإكليزيولوجية الكنيسة. تحديداً، الكنيسة من خلال عدد من القوانين تمنع الصلاة مع الهراطقة أو قبل معموديتهم. هذه القوانين تترجم المعتقد الآبائي للكنيسة إلى مصطلحات ذات طابع الحياة الواقعية؛ أي أن الكنيسة هي حقاً جسد المسيح وأن كما المسيح هو واحد وليس هناك انقسام فيه، كذلك أيضاً الكنيسة هي واحدة ولا يمكن أن تكون منقسمة إلى أطراف متناقضة. لكن الصلاة مع الهراطقة وقبول أسرارهم هو الإعتراف أنهم جزء من الجسد ذاته، لأن الوحدة المسيحية تحدث في الأسرار وتتجلى في العبادة. إن مخالفة المسكونيين للقوانين المعنية هو برهان عملي عن بدعتهم، لأن الإفتراض الأساسي للمسكونية

هو أن مختلف الأجسام الهرطوقية هم بشكلٍ ما حقيقي (لكن ليس مثالي) جزءاً من الكنيسة. حين ينفذ الهرطوقي معتقده الخاطئ بمخالفة القوانين التي أعدّت لتعيق بدعته، يصبح الأمر واضحاً بضعفين أنه هرطوقي.

الجزء الثاني: التقويم الجديد

تعود مسألة التقويم الكنسي إلى القرون الأولى للمسيحية. في ذلك الوقت كان هناك عدد قليل جداً من أعياد القديسين، باستثناء الإحتفالات المحلية: فالتقويم كان يُستخدم أساساً لتحديد تاريخ الفصح والأعياد المرتبطة فيه. في بداية القرن الثاني، نشأ هناك جدال يختص بعادة بعض الكنائس في آسيا الصغرى باحتفال عيد الفصح في ذات اليوم مع اليهود (١٤ من شهر نيسان)، وليس في الأحد الذي يليه سوياً مع الكنائس المسيحية الأخرى. هذه المسألة كانت مهمة لأن الكنيسة تعبّر عن وحدتها الداخلية من خلال احتفال مشترك للأعياد. عدم وجود احتفال مشترك جوهرياً خوّن عدم وجود إيمان مشترك. هذا الأمر دفع فيكتور بابا روما على وضع الحُرم على الكنائس الشاذة. في نهاية المطاف، أعلنت الكنيسة أن "الأربعة عشريين" Quartidecimans (أي محتفلي اليوم الـ ١٤) هم هراطقة، وأنه يجب قبول عودتهم إلى الكنيسة بواسطة مسحة الميرون. القانون السابع من مجمع لاوذيقيا يعلن:

> الأشخاص الذين تمّت هدايتهم عن الهرطقات، أي... الأربعة عشريين...لن يتم قبولهم إلى حين أن يضعوا الأناثيما على كل بدعة، وتحديداً تلك التي كانوا تحت وطأتها، وإذ يتم مسحهم بالميرون المقدس، سوف يشتركون بالأسرار المقدسة.[23]

القانون السابع من المجمع المسكوني الثاني أيضاً يشهد أن الأربعة عشرية (احتفال يوم الـ ١٤) Quartidecimanism كانت تُعتبر هرطقة:

أولئك الذين يهتدون من الهرطقة إلى الأرثوذكسية...نقبل بهم وفقاً للطريقة والعادة التالية...الأربعة عشريين ...نقبل بهم بعد أن يقدّموا تخلّياً مكتوباً ويضعوا الأناثيما على كل بدعة...عندها يُختموا أولاً أو يتم مسحهم بالزيت المقدس (طبعاً المقصود هنا الميرون المقدس – المعرّب)...[24]

وأخيراً، القانون ٩٥ من المجمع الخامس – السادس[1]، الذي أيضاً يمتلك سلطة ذات طابع مسكوني، أعلن:

الأربعة عشريين...نقبل بهم بعد أن يقدّموا شهاداتهم وبعد أن يضعوا الأناثيما على كل بدعة لا تصمد كما تصمد كنيسة الله الرسولية: وبعدها وقبل كل شيء نمسحهم بالميرون المقدس على جباههم وأعينهم ومنخاريهم وفمهم وأذنيهم؛ وحين نختمهم نقول "ختم موهبة الروح القدس."[25]

لم يكن الأربعة عشريين مذنبين سوى باستعمالهم لتقويم مختلف عن باقي الكنيسة – تقويماً زعموا حينها أنه أُعطي لهم من الرسول [القديس] يوحنا اللاهوتي نفسه – لكن الكنيسة قطعتهم نهائياً واعتبرتهم هراطقة. القديس هيبوليتوس يشهد على نقاوة إيمانهم في سائر الأمور الأخرى:

بعض الآخرين، من هم بطبيعتهم مشاكسون، يقولون أن عيد الفصح يجب أن يقام في اليوم الرابع عشر من الشهر الأول، وفقاً لوصية الناموس، وبغض النظر عن أي يوم [من أيام الأسبوع] قد يقع...مع ذلك، من النواحي الأخرى هؤلاء الأشخاص يوافقون على كل التقاليد التي أسلمها الرسل للكنيسة.[26]

---

[1] المعروف بالاتينية بالـ *Concilium Quinisextum* وباليونانية بالـ *Πενθέκτη Σύνοδος* ويدعى أحيانا بمجمع ترولو Trullo وهو انعقد عام ٦٩٢ وحضره ٢١٥ أسقفاً – المعرّب

أناطولويوس، وهو كاتب كنسي آخر، يشهد بشكل مماثل حول الأربعة عشريين:

"ذلك الفريق الواحد فعلاً التزم بيوم عيد الفصح في الرابع عشر من الشهر الأول – وفقاً للإنجيل كما فهموه. لم يزيدوا شيئاً آخر من الأنواع الغريبة، ولكن حافظوا على قاعدة الإيمان في كل الأمور."[27]

بكلام آخر، إن اختلاف حول نظام كنسي اعتُبر في نهاية المطاف بمثابة بدعة. بالرغم من ان الأربعة عشريين كانوا مستقيمي الرأي بخصوص كل عقيدة وانحرفوا فقط بتوقيتهم لعيد الفصح، هم قُطعوا عن الكنيسة كهراطقة عندما رفضوا الخضوع لحكم المجامع المحلية والمسكونية. هم اعتُبروا هراطقة بنسبة عالية لدرجة أنهم تم قبولهم بمسحة الميرون، وليس بمجرّد تخلّياً كتابياً، الأمر الذي سُمح للمونوفيزيتيين والنساطرة الذين هم هراطقة بالمعنى العقائدي الكامل لا سبيل للشك فيهم. إذا الأربعة عشريين اعتُبروا هراطقة لاتباعهم تقويماً كنسياً أسسه القديس يوحنا اللاهوتي، عندها ماذا يمكن القول عن أتباع التقويم الجديد الذين يتبعون تقويماً اخترعه البابوين ورفضته الكنيسة بأجمعها مراراً ؟

لقد حدّد المجمع المسكوني الأول تاريخ الفصح بشكل حاسم، لكن بعض الكنائس الغربية ونتيجة سبل الإتصالات الضعيفة استمرت باستخدام أنظمة لتورخة عيد الفصح فائت أوانها. معظم الكنائس المحلية صلّحوا أنفسهم عندما أدركوا خطأهم، لكن الكنائس السلتية في الجزر البريطانية رفضوا تبنّي الباسكاليون (النظام التقويمي لحساب تاريخ الفصح) التي تستخدمه الكنيسة الجامعة. فنشأ جدال حامٍ بين الداعمين لكل جهة، كانت نتيجته ان الكنيسة في نهاية الأمر اعتبرت الكنائس البريطانية منشقّة إلى حين قبولهم للتقويم الصحيح.

عام ١٥٨٣ خلق البابا غريغوريوس الثالث عشر تقويماً جديداً فرضه على العالم الكاثوليكي بمثابة التقويم الوحيد ليُستخدم في كل من الأهداف المدنية والكنسية. وبعد ذلك طلب من الأرثوذكس والبروتيستانت أن يتبنّوا التقويم الجديد. زجره كل من الأرثوذكس والبروتستانت، وذهبت الكنيسة الأرثوذكسية إلى عقد ثلاثة مجامع شاملة للأرثوذكسيين وضعت الأناثيما على التقويم الجديد وعلى كل من يتجرأ على تبنّيه. أول مجمع من تلك الثلاثة، والذي انعقد بسرعة دون تأخير عام ١٥٨٣ طرح لائحة من الأخطاء البابوية ثم وضعها تحت الأناثيما. وأعلنت المادة السابعة من السيغيلليون Sigillion (أي وثيقة المجمع المختومة رسمياً) ما يلي:

> كل من لا يتبع عادات الكنيسة التي قررتها المجامع المسكونية السبعة المقدسة، والفصح المقدس والتقويم الذي حسناً شرّعوه لنا لنتبعه، لكن يريد أن يتبع الباسكاليون المخترَع حديثاً والتقويم الجديد الذي لفلكيي البابا الملحدين؛ ويناقضهم، راغباً في قلب وتدمير عقائد وعادات الكنيسة التي تسلّمناها من الأباء، فليكن أي واحد من هؤلاء تحت الأناثيما وليكن خارج الكنيسة ومحفل المؤمنين.

إن أتباع التقويم الجديد يقعون تحت وطأة هذه الأناثيما، ولهذا السبب أولئك الذين بقوا أمناء على الأرثوذكسية يرفضون الشركة مع ذوي التقويم الجديد. إن قرارات هذا المجمع لم تُبطل أبداً من قِبل مجمع ذات سلطة متساوية أو أقوى. هذه القرارات يجب أن تكون ملزمة؛ لأن إذا الكنائس المحلية يمكنها أن تُسقط أحكام للكنيسة الجامعة متى شاءت، يصبح الجزء أقوى من الكمال وتختفي جامعية الكنيسة. إن ابتكار مجمع ذات منزلة أدنى يلغي التقليد الأرثوذكسي العريق الذي يدافع عنه بصراحة ويفرضه المجمع

الشامل للأرثوذكسين ذات المنزلة الأعلى. ومفهوم التقليد والسلطة في الكنيسة بكامله يفقد صلته بالنهج المجمعي.

التوكيد الخامس (٥): يبرّر ذوو التقويم القديم انفصالهم عن كنيسة التقويم الجديد باتّهامهم هذه الكنيسة أنها قبلت ببدعة المسكونية. لكن تاريخياً، هم انفصلوا ليس بداعي المسكونية لكن بسبب تغيير التقويم الذي هو ليس ببدعة. وبالتالي، حتى إذا كانت المسكونية بدعة، لا يزال ذوو التقويم القديم منشقّين لأنهم انفصلوا لأسباب مختلفة كلياً؛ وهم باستعمالهم المسكونية ليبرّروا انشقاقهم الأول هو أمر يُعتبر مراجعة للتاريخ.

جواب: إن التقويم الجديد بحد ذاته يروّج للإنشقاق ويخالف وحدة الكنيسة، الأمر الذي يجعل أولئك الذين يتبنّون التقويم الجديد جوهرياً في حالة انشقاق عن أولئك الذين يحفظون التقويم الكنسي. هو أيضاً بحد ذاته هرطقة محتملة، لأنه تغييراً لرمز مقدس أسلمه لنا الأباء. الكنيسة في كل مكان تعبّر عن واقعها المقدس من خلال الرموز. الرموز هي أشياء مخلوقة تمثّل ما هو غير مخلوق، الأمر الذي يجعل ما هو غير مخلوق والهي مدركاً بالنسبة لنا. هي لا تمثّل جوهر الله بما أن الجوهر الإلهي يتعذر تفسيره كلياً وهو مرفوع بامتياز فوق كل واقع، لكنه تدل على درب تجسيد ما هو إلهي في حياتنا من خلال تصوير قواه. بمعنى آخر، الرموز ترينا كيف وبأي مفاهيم عقلية يمكننا أن نصبح آنية لنعمة الله وقوته المستقرة.

الكنيسة تستخدم الرموز الشفهية والمكتوبة (التي غالباً ما تكون مستوحاة من الفلسفة الكلاسيكية) لتدل على حقائق تختص بالألوهية والتجسد وعقائد أخرى. على سبيل المثال، نقول أن الله هو واحد في الجوهر لكن ثالوث في الأقانيم، بالرغم من أن الحقيقة التي تحاول هذه المعادلة أن تعبّر عنها هي في الواقع أسمى بلا حدود من هذا التعبير اللفظي. نحن أيضاً نستعير بالرموز من الشِعر والمجاز، مثلاً حين نقول أن "الله هو "نار آكلة." بالرغم من أنه فعلياً ليس نار مادية إطلاقاً، معادلة كهذه تخلق التصور الصحيح في عقولنا، والتي يعرفها الله أنها الأكثر منفعة لنا في الحياة الروحية؛ وذلك لأنه يعمل في أولئك الذين يعتبرهم مستحقين بطريقة شبيهة بالنار.

بذات الطريقة، إن التقويم الكنسي وفقاً للآباء[28] هو أيقونة عن عبادة الله الأزلية في السماوات. فالكنيسة تعبّر عن الناحية الأزلية للدهر الآتي بتنظيم خِدمها في سلسلة من الدورات، بقدر ما الدائرة هي صورة عن ما لا نهاية له. كل واحد من هذه الدورات تتحرّك بانسجام مثالي مع بعضها البعض، منتجة إيقاعاً يجعل النفس متناغمة مع نفسها، مع زملائها الأعضاء في المسيح، ومع الله المتجسد نفسه. ولكن، حين يُغيّر التقويم بشكل عشوائي ليخضع إلى نموذج هرطوقي، يتم تعطيل هذه السلسلة من الدورات ويحصل هناك نزاع روحي. ربما المثال الأكثر فظاعة عن هذا في التطبيق الحالي هي كيف التقويم الجديد يقصّر مدة صوم الرسل – أحياناً يلغيه بالكامل – وبالتالي يحرم المؤمنين من إحدى الأداة الرئيسية للتقدّم في الحياة الروحية.[29]

كل مظهر من مظاهر الكنيسة للتعبير عن ذاتها إن كان اللاهوت، الشِعر، الليتورجيا، التقويم، الفن المعماري، الموسيقى، رسم الأيقونات، الأسرار، أو أي شيء آخر – هو يرمز لحقائق سماوية وبالتالي هو بجوهره لا يجوز تغييره؛ لأن الرمز الصحيح يؤدي إلى عبادة صحيحة لله واتِّباع سليم للوصايا، بينما الرمز الغير صحيح يبعدنا عن الله. في حال تم تغيير أحد الرموز بشكل شرعي، أو إذا سمحت الكنيسة بعدة أشكال مختلفة من الموضوع ذاته، فهذا يكون لأن القديسون أدركوا أن هناك عدة رموز مختلفة قادرة أن تعبّر عن الحقيقة ذاتها. لكن إذا تم تغيير الرمز دون موافقة القديسين – أو في الحالة الأسوأ، خلافاً لإدانة الكنيسة الجامعة الواضحة والثابتة – عندها ذلك الإبتكار يجب أن يُرفض باعتباره مدمراً للنفس.

على كل حال، لقد تم السير بالتقويم الجديد تحديداً للترويج للمسكونية. وهذا الأمر يتّضح بسهولة من الحقيقة أن أول وثيقة رسمية أصدرتها بطريركية أرثوذكسية تدعم التقويم الجديد كانت أيضاً أول إعلان شعبي للمعتقدات والمخططات المسكونية. في عام ١٩٢٠ نشرت بطريركية القسطنطينية منشوراً بعنوان "إلى كنائس المسيح أينما وُجدت." هذا المنشور طرح لائحة من أحد عشر اقتراح يخدم "وحدة الكنائس،" الأول منها كان تبنّي تقويم واحد لجميع الكنائس، الأرثوذكسية والهرطوقية، للإحتفال بالأعياد مع بعضهم البعض. بعد ثلاثة سنوات، ملاتيوس ميتاكساكيس بطريرك القسطنطينية، وهو ماسوني من الدرجات العليا ومسكوني متطرّف، عقد "مؤتمر شامل–للأرثوذكسيين" – حضره ممثلو ثلاثة كنائس أرثوذكسية فقط – وأوصى بأنه لكي تتم عصرنة الكنيسة

وتحقيق الوحدة مع الطوائف الغربية، على الكنيسة أن تتبنّى التقويم والباسكاليون (النظام الفصحي) الغريغوري، أن تخفّض بشكل جذري من مدة الأصوام والخِدم الكنيسة، وأن تلغي اللباس الإكليريكي. في السنة التالية، تبنّت بطريركية القسطنطينية وكنيستي اليونان ورومانيا التقويم الجديد. لم يقم مؤيدو التقويم الجديد في عقد العشرينات (١٩٢٠-١٩٢٩) بأي محاولة لتخبئة هدف تغيير التقويم: فهم أعلنوا بوضوح، علناً وبشكل خاص، أن سبب تبنّي التقويم الجديد كان لتسهيل الوحدة مع الكنائس الغربية.[30] هذه الحقيقة كانت معروفة عند ذوي التقويم القديم في تلك الحقبة، وكان ذلك إلى حد كبير لأن تغيير التقويم كان الخطوة الأولى في الإتحاد بين البابويين والأنغليكانيين والتي رفضها الأرثوذكسيون. فعلاً، النص ذاته لإدانة ١٥٨٣ يعترف أن من هم مؤيدون لتغيير التقويم هم تماماً من يريدون الكنيسة الأرثوذكسية أن تتحد مع البابوية. لذلك من الباطل النقاش أن مسألة المسكونية لم تنشأ إلاّ بعد عقود من مسألة التقويم. فالإثنان مرتبطين ببعضهما البعض.

التوكيد السادس (٦): إدانات التقويم الجديد من قِبل مجامع القرن الـ ١٦ الشاملة للأرثوذكسيين لا تنطبق على ذوي التقويم الجديد المعاصرين، لأن ذوي التقويم الجديد المعاصرين قاموا فقط بتغيير المينولوجيون[31] وليس أيضاً الباسكاليون.[32]

جواب: كل من يقرأ نص الإدانات يمكنه أن يرى أن هذه المجامع تدين ليس فقط أولئك الذين يتبنّون أخطاء اللاتين جميعها، لكن أولئك الذين يقبلون حتى واحدة منهم

بمفردها. هكذا خطأ هو المينولوجيون الجديد. إذا ادّعى أحدهم أنه يمكن للكنيسة بأن تقبل المينولوجيون الجديد طالما لا تقبل الباسكاليون الجديد، عندها بهذا المنطق نفسه على ذلك المرء أن يعترف أن الكنيسة يمكنها أن تقبل برئاسة البابا أو البرشان،[33] طالما أنها لا تقبل عبارة الفيليوكويه (والإبن) Filioque في آنٍ معاً. لكن إياكم من هذه السخافة! صياغة النص تضع الباسكاليون والمينولوجيون تماماً على قدم المساواة؛ وبالفعل، ليس هناك من سبب لنحكم على كلاهما وفقاً لمعايير مختلفة، لأن كلاهما هما تعابير متكاملة وضرورية في حياة الكنيسة الداخلية.

تجدر الإشارة هنا أن كنيستي فنلندا وإستونيا اللتان تبنّتا الباسكاليون الجديد بالتأكيد تقعا تحت وطأة إدانات ليس فقط مجامع السادس عشر التي أعلنتهما "خارج الكنيسة ومحفل المؤمنين،" لكن أيضاً المجمع المسكوني الأول الذي وضع أسس الباسكاليون ومنع أي شخص من الإحتفال بعيد الفصح مع اليهود (كما يحصل أحيانا على الباسكاليون البابوي.) وبالتالي وفقاً للأراء العابرة التي يقبل بها ذوي التقويم الجديد أنفسهم، على المرء أن يقطع الشركة مع تلك الكنيستين.

التوكيد السابع (٧): التقويم الجديد التي تستخدمه الكنيسة الأرثوذكسية هو ليس التقويم الغريغوري، لكن التقويم الجولياني المصحّح. هو يختلف عن التقويم الغريغوري بكونه أكثر دقة بقليل (إذ يتضمن فقط ٩٧ سنة كبيسة مقارنة مع ١٠٠ كل

٤٠٠ سنة.) وبالتالي الأرثوذكسيون الذين يتبعون التقويم الجولياني المصحّح لا يقعون تحت وطأة الأناثيمات الموضوعة ضد التقويم الغريغوري.

جواب: إن التقويم الجديد هو عملياً طبق الأصل للتقويم الغريغوري المفروز (أي التي وُضعت عليه الأناثيما) عام ١٥٨٣. هو يختلف فقط بأخذه القاعدة وراء التقويم الغريغوري خطوة واحدة **بعيداً** عن التقويم الجولياني. بمعنى آخر، "فلكيو البابا الملحدين" (لنستخدم عبارة أناثيما ١٥٨٣) اخترعوا تقويماً جديداً لأنهم، ونقيض الأباء القديسين، اعتبروا أن الدقة الفلكية هي أهم من التقليد أو وحدة الكنيسة. وإذ اتّبعوا خطى البابا، ذوي التقويم الجديد كذلك الأمر تجاهلوا التقليد ووحدة الكنيسة الأرثوذكسية مفضّلين الدقة الفلكية والوحدة مع الهراطقة. ولكن بما أن المفكرين اليونان في عشرينات القرن الماضي عانوا من عقدة نقص تجاه الغرب، قاموا بتغيير التقويم الغريغوري قليلاً ليجعلوه حتى أكثر دقةً، مبرهنين بذلك لأنفسهم أن "فلكيوهم الملحدين" كانوا أعلى شأناً من فلكيو البابا.

سوف يكون من الأكثر دقةً أن نسمّي التقويم الجديد بـ "التقويم الغريغوري المصحح" عوضاً عن "التقويم الجولياني المصحح،" لأنه بكل وضوح نسخة معدلة عن السابق وليس عن الأخير. آباء الكنيسة الذي قاوموا الآريوسية برهنوا أن الإبن هو مساوٍ للآب في الجوهر من خلال إظهارهم أن عملياته هي ذات تلك التي للآب؛ لأن ما لديه عمليات مماثلة لديه جوهر مماثل. بما أن عمليات التقويم الجديد هي مماثلة لتلك

التي للتقويم البابوي – أي بما أن كلاهما يحتفلان بذات الأعياد في ذات الأيام (هذا هو هدف تقويم كنسي مشترك)، من الواضح أن التقويم الجديد هو بالجوهر التقويم الذي وضعه البابا غريغوريوس والذي فرزه الأرثوذكسيون (أي وضعوا عليه الأناثيما) ، وهو يختلف عنه فقط بطريقة عرضية. إضافةً، بما أن السبب الرئيسي لتبنّي المسكونيون للتقويم الجديد هو تسهيل عملية الوحدة مع روما، وبما أن التقويم البابوي وُضع تحت الأناثيما لإعاقة الوحدة مع روما، يجب أن يكون واضحاً للجميع باستثناء الشكلي والأكثر تطرّفاً أن ذوي التقويم الجديد المعاصرين يقعون تحت وطأة أناثيما البطاركة الأرثوذكس. الفروقات العرضية بين التقويم الغريغوري الأساسي والتقويم الغريغوري المصحح الذي لذوي التقويم الجديد هي عملياً غير مرئية، إلاّ لمن هو إختصاصي.[34]

الجزء الثالث: المسكونية

وأخيراً نصل إلى المشكلة الرئيسية التي تصيب الأرثوذكسية الدنيوية: بدعة المسكونية. إن أول ظهور رسمي للمسكونية في الكنيسة الأرثوذكسية كان منشور عام ١٩٢٠، والصادر عن بطريركية القسطنطينية. إن لغة هذا المنشور هي خفيفة نسبياً، مقارنة مع تصريحات وأعمال المسكونيين اللاحقة. هذه أخذت أشكال مختلفة، نتيجة الطبيعة المائعة والغير متبلورة لهذه البدعة. في أضعف أشكالها، تعتبر المسكونية أن كنيسة المسيح هي أكبر من الكنيسة الأرثوذكسية، أو أن الكنائس الأخرى تمتلك شرعية كنسية ما حقيقية، ولو منقوصة. أما الأكثر انحرافاً عن الإكليزيولوجية الأرثوذكسية هناك ما

يسمى بـ "نظرية الفروع Branch Theory،" و"نظرية التفتيت Fragmentation Theory،" "لاهوت المعمودية Baptismal Theology،" و"لاهوت المناولة (أو الشركة) Communion Theology."

نظرية الفروع ابتكرها في القرن التاسع عشر أنغليكانيين كنسيين من المستوى الرفيع، أرادوا أن يرتبطوا مع أشكال من المسيحية أقدم من كنيسة إنغلترا البروتيستانتية. فاقترحوا أن الكنيسة قد تم تقسيمها إلى عدة فروع، وهي عادة منحصرة بالأنغليكان والكاثوليك والكنائس الشرقية. وهم اعتقدوا أن المسائل التي فصلت هذه الكنائس لم تكن بهذه العظمة لكي تمنع كل فرع من الإنضمام فعلياً لكنيسة المسيح الواحدة. وإذ هكذا هي الحالة، كان من الواجب المنطقي لكل فرع بأن يسعى ليتحد مجدداً مع الآخرين. كانت هذه أول نظرية متماسكة تشكّل ركيزة للحركة المسكونية الناشئة، لكنها اليوم هي لحد كبير أفسحت الطريق لنظريات أكثر شمولاً، بالرغم من أن مصطلح "نظرية الفروع" بحد ذاته لا يزال قيد الإستعمال ليصف عدة نسخات معدّلة من المسكونية، غالباً ما تتضمن مفهوماً سلبياً.

"نظرية التفتيت" هي المعتقد أن الكنيسة قد تفتّتت لعدة أجزاء، جميعها بالرغم من ذلك تشكّل جزءاً من الكنيسة. هذا الرأي يجد أصله عند البروتيستانتيين، الذين أنفسهم هم منقسمين إلى عدة طوائف، ولا واحدة منها لديها أي حق مطالبة بالأصالة أفضل من التالية. هذا الإنقسام قد أدى بالعديد من البروتيستانتيين (ومن ثم العديد من الكاثوليك والأرثوذكس) بأن يشكّوا بالوجود الفعلي للجامعية في الكنيسة بعد القرون المسيحية الأولى، وأن يسعوا إلى إعادة تشكيل جامعية الكنيسة من خلال مبادرات كمجلس الكنائس العالمي.

"**لاهوت الشركة (المناولة)**" يلتزم أن الكنيسة الأرثوذكسية يجب أن تدخل في مناولة مشتركة مع الكنائس الأخرى حتى قبل تحقيق توافق عقائدي مثالي. وفقاً لهذه النظرية، الشرعية الكنسية لأي مجموعة مزندقة يُعترف بها بديهياً، ويُفترض أن الوحدة التي تأتي من سر الإفخارستيا ستتجاوز أي خلافات عقائدية صغيرة التي توجد بين الفئات المختلفة.

"**لاهوت المعمودية**" هي نظرية شهيرة بطلها يوحنا زيزيولاس متروبوليت بيرغامون، وهي تعتبر أنه وبالرغم من أن الكنائس المختلفة تختلف في العقيدة، إلاّ أنها هي متحدة مع بعضها البعض بمعمودية مشتركة في الثالوث. هذا الرأي أكّدته رسمياً بطريركية القسطنطينية حيال اللوثريين عام ٢٠٠٤، وهو أصبح نظرية المسكونية المفضلة في بطريركية موسكو.

الشكل الأكثر تطرّفاً للمسكونية والذي عبّر عنه عدد من أساقفة ولاهوتيي التقويم الجديد (أبرزهم أثيناغوراس بطريرك القسطنطينية)، هو الرأي أن جميع الديانات هي طرق متساوية إلى الله، ومركبات متساوية مؤدية للخلاص. هذا الرأي نصادفه مراراً في مجلس الكنائس العالمي حيث المبعوثين الأرثوذكسيين (بمن فيهم أساقفة) يشتركون في طقوس وثنية ويوقّعون على وثائق تنص بتجاديف كهذه حيث أن المسيحيون عليهم "تجاوز فكرة لاهوت يحصر الخلاص بالولاء الشخصي واضح ليسوع المسيح."[35]

جميع أشكال المسكونية، حتى الأكثرها اعتدالاً، هي هرطوقية. الكنيسة الأرثوذكسية لم تقبل أبداً وجود كنائس أخرى إلى جانبها. على مدى تاريخها الطويل الأمد، هي رفضت بثبات كل هرطقة ليس فقط باعتبارها خطأ فكري، بل كوسيلة من الخداع الروحي ترشد المرء بعيداً عن الله. جميع البدع لا تنشأ من الله بل من الشيطان، وغايتها الوحيدة (كونها هرطقة) هي دمار النفوس البشرية. إذا شخص ما ينتمي إلى جسم هرطوقي يبدو أنه بلغ مستوى ما من الفضيلة،

فهذا يحصل لأنه يلتزم بما تبقى من تعاليم مستقيمة الرأي لا تزال على قيد الحياة داخل الجسم الهرطوقي؛ وليس إطلاقاً بسبب إيمانه ببدعة تلك المجموعة. وجود ناس أصحاب نوايا حسنة في كنيسة مهرطقة لا يعني إطلاقاً أن المنظمة المعنية تتمسك، بأي شكل جاد، **بِالإِيمَانِ الْمُسَلَّمِ مَرَّةً لِلْقِدِّيسِينَ.**[36] فالكثير من القديسين تكبدوا العذابات وماتوا لكي يمنعوا انتشار الهرطقة، لأنهم أدركوا أن لا يمكن للنور والظلمة أن يتواجدوا مع بعضهم البعض: ليس للمسيح شركة مع بليعال. باعترافهم بالبدع كجزء من الكنيسة، المسكونيون يتحدّون التعليم الجامعي للأباء القديسين ويظهرون أنفسهم أنهم ليسوا روّاد حالمون بسبل لتخطي الإنقسامات القديمة لكن ببساطة مخترعون لبدعة جديدة تخصّهم، وهي إكليزيولوجية في طبيعتها. لأن الإكليزيولوجية هي بذات المقدار موضوع عقيدة تماماً كالترايودولوجية أو الخريستولوجية؛ في الحقيقة، السابقة تُسَن من الأخيرة، بقدر ما الكنيسة هي جسد المسيح. لهذا السبب تضم الكنيسة خلاصة عن الإكليزيويولوجية في دستور الإيمان النيقاوي، **[أؤمن] بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، وأعترف معمودية واحدة لمغفرة الخطايا.**

المسكونية، كونها بحثاً عن الوحدة المفقودة، وسعياً لإعادة تشكيل الجامعية، واعترافاً بعدة معموديات، هي تناقض مباشر لدستور الإيمان. هي غير مقبولة تماماً بالنسبة للمسيحيين الأرثوذكسيين.

التوكيد الثامن (٨): المسكونية لم يسبق لها وتمّ إعلانها رسمياً في شكل هرطوقي.

جواب: هذا التوكيد يطرح السؤال: ماذا يشكل إعلان رسمي؟ من الواضح أنه من مصلحة ذوي التقويم الجديد المتحفّظين أن يقوموا بتعريف كلمة "رسمي" بطريقة ضيقة للغاية لدرجة أن لا أحد يمكنه إطلاقاً إعلان أي هرطقة "رسمياً." مع ذلك، إن الكنائس المسكونية بكل تأكيد اعتنقت

تعاليم هرطوقية بأشكال يمكن لأي شخص غير متحيز إلى حد معقول أن يعتبرها رسمية للغاية: تلك التي من إعلان شعبي من قِبل البطريرك، مع موافقة من المجمع على هذا الإعلان. هذا الأمر قد حصل بشكل من الأشكال في جميع الكنائس المسكونية. جميعهم ينتمون لمجلس الكنائس العالمي[2]، وهو منظمة عالمية غايتها الوحيدة للوجود هو الترويج للمسكونية وللقواعد الإكليزيولوجية الغير أرثوذكسية التي تتأسس عليها المسكونية. وحتى عدد منهم كانوا أعضاء مؤسِّسة وهم على أعلى مستوى ساعدوا في صياغة أهداف المجلس ومعتقداته، والتي هي غريبة بالكامل عن المفهوم الأرثوذكسي للكنيسة. كل من ميثاق المجلس وإعلاناته العديدة الموقّعة على مر السنين من قِبل المبعوثين الأرثوذكسيين على مختلف انتماءاتهم تعلن مراراً وتكراراً، بشكل ضمني وبصراحة، أن المجموعات الغير أرثوذكسية هي فعلاً وبطريقة ما جزءاً من الكنيسة، وأن الكنيسة الأرثوذكسية هي جزء من مجموع أكبر يتكوّن من كل من الأرثوذكسيين والزنادقة.

في العام ١٩٦٥ رفع البطريرك أثيناغوراس ومجمع بطريركية القسطنطينية أناثيمات عام ١٠٥٤ المفروضة ضد الكنيسة الكاثوليكية. وأعلنوا أن الإدانات الأرثوذكسية للهرطقات اللاتينية "لا أساس لها" ويجب أن تُمحى من الذاكرة؛ ورفعوا الصلوات "ليصلوا إلى إدراك وتعبير مشتركين لإيمان الرسل ومتطلباته" من خلال "الندم على الأخطاء التاريخية."[37]

في عام ١٩٧٥، وافق البطريرك ديمتريوس ومجمع بطريركية القسطنطينية على "اعتراف ثياتيرا" ونصحوا به بشدة. هذا التعليم أعلن من بين جملة من الأمور أن "الكنيسة لها أبواب لكن بدون جدران؛" وأن نتيجة "إدراك جديد" لمفهوم الكنيسة، "الناس المسيحيون الآن يزورون ويصلّون مع مسيحيين آخرين من تقاليد مختلفة كان ممنوع عليهم في الماضي الإرتباط معهم،

[2] باستثناء بطريركيتي جورجيا وبلغاريا اللتان غادرتا مجلس الكنائس العالمي عام ١٩٩٨ – المعرّب.

لأنهم كانوا يدعوا هراطقة"؛ وأن بالتالي المناولة المشتركة بين البابويين والأرثوذكس هي مسموحة تحت ظروف معيّنة.

في أيلول ١٩٩٠، في شامبيزي، سويسرا، اجتمع مبعوثون معيّنون ومعتمدون من قِبل مجامع جميع الكنائس المسكونية مع ممثلين رسميين للكنائس المونوفيزيتية وأعلنوا أن المونوفيزيتيين هم أرثوكسيين بالكامل وليسوا هراطقة بأي طريقة إطلاقاً. هذا الإعلان صُدّق من قِبل مجمع بطريركية الإسكندرية عام ٢٠٠١. والأسوأ من ذلك، في حزيران ١٩٩١، وافق بطريرك إنطاكيا إغناطيوس الرابع على الشركة الكاملة مع كنيسة السريان المونوفيزيتية، متخلياً بذلك عن قرارات المجامع المسكونية الرابع والخامس والسادس.

الحقيقة أن المسكونيون يضطهدون ذوي التقويم القديم على معتقداتهم يُظهر أنهم يعتبرون بدعتهم تعليم رسمي لكنيستهم. نقرأ في سيرة القديس مكسيموس المعترف:

> اقترح الأسقف، "إقبل بتيبوس Typos (قرار) الإمبراطور ليس كتعبير على العقيدة بل كتفسيره الخاص وكوسيلة لإسكات الجدل."
>
> "إذا لم يكن التيبوس تعريفاً عقائدياً على أساس أن ربنا له مشيئة وفعل واحد، لماذا إذاً تم نفيي إلى أرض البرابرة والوثنيين الذين لا يعرفون الله؟" سأل مكسيموس. "لماذا أضيّع وقتي هنا، وزملائي العملة في بيرفيريس وميسيمبريا؟"[38]

المغزى هنا أن حين أولئك الذين ينحرفون عن الأرثوذكسية يضطهدون الأرثوذكس، هكذا إضطهاد يجب أن يُعتبر برهاناً أن المضطهِدون يعتبرون معتقداتهم الهرطوقية بأنها مهمة جداً ومتكاملة جداً مع هويتهم الذاتية الخاصة بهم لدرجة أنهم سيرتكبون العنف بحق من يخالفهم الرأي.

عدا عن هذا، أساقفة وكهنة وعلمانيي الكنائس المسكونية يؤكدون باتساق عن إيمانهم بالمسكونية من خلال عدة أشكال. هناك أساقفة مسكونية من كل نطاق كنسي تفوّهوا بتجديفات لا تحصى تشكك بكل عقيدة من عقائد الأرثوذكسية، الصلوات المشتركة تقام مع الهراطقة بشكل منتظم، المناولة تعطى بحرية للكاثوليك والمونوفيزيتيين، ومعاهدات مثل ما يسمى بـ"إتحاد البلمند" والإعلان المروّع الأخير للتجمّع التاسع لمجلس الكنائس العالمي تصدر من قِبل المبعوثين الرسميين لكنائس التقويم الجديد. جميع هذه تؤكد نسخات عن نظرية الفروع ومجموعة من الأخطاء الأخرى.

عكس ما يود المتحفّظون أن يعتقدوا، هكذا إعلانات وأفعال هي ليست دون صلة بالموضوع. فالممثلون الذين يساومون على التعليم الأرثوذكسي في التجمعات المسكونية هم لا يتصرّفون كأفراد أحرار. هم مبعوثون تم اختياراهم من قِبل مجامع كنائسهم ليمثلوا صوت الكنيسة. وعندما يوقّعون وثائق هرطوقية، هم لا يعبّرون عن أرائهم الشخصية لكن أراء جميع أساقفة كنيستهم. وفي الحقيقة هذا هو السبب لماذا تم تعيينهم وإرسالهم أساساً. وإذا، كما يزعم ذوي التقويم الجديد، هكذا أفعال لا تجعل الكنائس المسكونية هرطوقية وفقاً للقانون، فهي بكل تأكيد تظهر الأساقفة المسكونيين أنهم فعلياً هراطقة. وإذا كان ضمير الكنيسة وتعبيرها الذاتي على المستوى الأسقفي هرطوقياً باتساق، تكون وفرة الإعلانات "الرسمية" عن الهرطقة غير ضرورية لتظهر أن الجسم المختص هو ليس الكنيسة الذي أسسها المسيح.

ليست هي الرئاسة فقط، بل أيضاً أغلبية العلمانيين في الكنائس المسكونية، يقبلون بأن الكنائس المهرطقة تمتلك وضعاً كنسياً حقيقياً ما. فقط أقلية من المتحفّظين تتمسك بما يشبه التعليم الأرثوذكسي عن طبيعة الكنيسة. وأعضاء هذه الأقلية، الذي هم غالباً العنصر الأكثر

تكريساً في الكنائس المسكونية، يخدعون أنفسهم باعتقادهم أن كنيستهم بأكملها لا تزال تشارك أراءهم؛ وهم يعتبرون الأراء الشائعة لأساقفتهم وزملائهم المؤمنين بأنها مؤقتة، أي بالجوهر هي انحرافات غير مهمة. لكن هكذا تفكير هو خاطئ، وليس فقط لأنه غير واقعي. ليست معتقدات الكهنة والعلمانيين هي التي تحدد الوضع الكنسي لأي كنيسة، لكن بالأحرى مواقف الأساقفة. وحتى لو كانت أراء العلمانيين هي العامل الحاسم، فالأعضاء المتحفظة في الكنائس المسكونية سوف يجدون أن أعدادهم تفوقها بشكل كبير أعداد الأعضاء الليبيراليين. لهذا البعد انتشر وباء المسكونية.

التوكيد التاسع (٩): إن الكنيسة غالباً ما استعملت الإيكونومية بعلاقاتها مع الهراطقة وهي تسمح بالتجاوزات القانونية لدرجة تحمّل وجود أفراد في حضنها يتمسكون ببدعة ما؛ ولكن ولا أي واحدة من أعمال الإيكونومية هذه أدّت إلى انشقاق كما فعل حالياً ذوي التقويم القديم.

جواب: يقدم الأب باسيل عدد كبير من الأمثلة من التاريخ الكنسي ليبرهن موقفه، لكنهم دون صلة تماماً لأن الموقف الحالي لا يتضمن أعمالاً من الإيكونومية – ولا حتى أعمالاً متزايدة – لكن أمور تختص بالعقيدة. عندما يخالف المسكونيون قانوناً، هم يفعلون ذلك ليس لأنهم يعترفون بالقاعدة التي يجسدها القانون لكن يليّنون تطبيق القانون لكي يسهّلوا خلاص الكثيرين (الأمر الذي هو معنى وغاية الإيكونومية). بالأحرى، هم ينكرون القاعدة التي يجسدها القانون بحد ذاتها. لذلك نرى أن الكنيسة غالباً ما قبلت بالهراطقة بطريقة ما غير المعمودية، ليس لأنها تعترف بمعمودية الهراطقة، لكن لتسهل عودتهم إلى الأرثوذكسية. لكن المسكونيون يبشرون أن معمودية الهراطقة هي شرعية؛ أو أسوأ، أن الهراطقة المعنيين هم ليسوا هراطقة إطلاقاً. لقد قامت الكنيسة

أحياناً بنقاشات مع الهراطقة، ليس لأنها تعتبر الهراطقة مستقيمي الرأي، لكن لأنها ترغب بإقناعم بالعودة إلى الأرثوذكسية. ولكن المسكونيون يقيمون الحوارات باستمرار مع الهراطقة ليس لكي تهديهم إلى الأرثوذكسية، بل لكي تعيد خلق الوحدة التي فقدتها الكنيسة (التي يتم تعريفها بشيء أكبر من الأرثوذكسية) عبر سوء تفاهمات تاريخية. "الإيكونوميات" التي يوردها الأب باسيل كانت في بعض الحالات تجاوزات ذات طبيعة غير عقائدية، وفي حالات أخرى مجرد استعمال مناسب للإيكونومية؛ البدع التي كان يتم تحمّلها كان يبشر بها كهنة من الطبقة السفلى وعلمانيين، أو في أقصى الحالات أسقف معزول، لكن ليس إطلاقاً من قِبل مجمع أو بطريرك. في ولا أي مثل من الأمثال التي يذكرها الأب باسيليوس كانت مؤسسات البطريركيات بكاملها منفسدة بالبدعة، كما هي الحال اليوم.

من المهم أن نتذكر ان التصرفات والأراء الخاطئة أو حتى الهرطوقية التي للعلمانيين والكهنة ذات الطبقة السفلى، لا تؤثر على وضع الكنيسة الأونتولوجي. الكنيسة فقط تصبح هرطوقية إذا مجموعة من أساقفتها تبنّت بدعة. العلمانيين والكهنة السفليين لا يشكلون مركز وحدة الكنسية الذي أساسها سر الإفخارستيا؛ وبالتالي هم يبقون داخل الكنيسة إلى حين أن يتم وضع الحرم الكنسي عليهم أو حين يتبعون أساقفتهم في البدعة. أما الأساقفة فهم يغادرون الكنيسة حالما يصبحون هراطقة علنيين ومثابرين، وذلك لأن أرثوذكسية (إستقامة رأي) الكنيسة وجامعيتها تندرج في الأسقفية. عندما يفقد الأساقفة أرثوذكسيتهم، هم في الوقت ذاته لا يعودون مركز الكنيسة.

إن التجاوزات القانونية العديدة التي حصلت على مر تاريخ الكنيسة لم تحصل أبداً على أساس بدعة أُعلنت علناً؛ بينما تجاوزات الحاضر الشبيهة بها تحصل بالضبط لأن أساقفة الكنائس

المسكونية قد اعتنقوا إكليزيولوجية غريبة عن الأرثوذكسية؛ أي أن الأجسام الهرطوقية هي بطريقة ما جزء من الكنيسة. وهذا المعتقد ثم يتم التعبير عنه عملياً بمخالفة تلك القوانين التي تدل على كيفية تصرّف المؤمنين تجاه الهراطقة.

التوكيد العاشر (١٠): المسكونية في حالة احتضار. فالبطريرك برثولماوس أعلن لرهبان الجبل المقدس أن الكنيسة الأرثوذكسية تمتلك ملء الحقيقة بينما اللاتين هم على خطأ؛ وهو أدان الصلوات المشتركة. رئيس الأساقفة خريستودولوس، رئيس أساقفة أثينا [السابق]، منع مجمعياً الصلوات المشتركة مع الزنادقة. كنائس محلية عديدة أخرى قد أدانوا نواحي من المسكونية، بينما كنائس جورجيا وبلغاريا قد انسحبت من مجلس الكنائس العالمي. هذا يبرهن أن موقفنا مبرر ويعطي ثماراً.

جواب: في الحقيقة، المسكونية تزداد سوءاً. فالصلوات المشتركة مع الهراطقة يقيمها بانتظام البطريرك برثولماوس الذي زار البابا في روما، وقدّم دعوى إلى البابا ليزوره، وصلى معه، واستقبله كأسقف بكامل الصلاحيات.[39] في شباط ٢٠٠٦، أكّد مجدداً المؤتمر التاسع لمجلس الكنائس العالمي في بورتو أليغري، البرازيل، على نسخة من نظرية الفروع؛ وهذه وقّع عليها مبعوثون من جميع الكنائس "الأرثوذكسية" تقريباً. هذه الأفعال وأخرى عديدة يمكن وضعها على لائحة، تدل على كم هي عديمة القيمة أي بيانات تبدو أنها أرثوذكسية يقوم بها مسكونيون. هذه البيانات يقومون بها بمرائية لغاية وحيدة ألا وهي منع ذوي التقويم الجديد المتحفّظين من مغادرة المسكونيين والإنضمام إلى كنيسة التقويم القديم. هذا الوجه المزدوج هو نموذجي بالنسبة للهراطقة على مر العصور، لكنه ولا في أي حال يعني أن الهرطوقي أصبح أرثوذكسي أو أنه يجب قبوله كذلك. في إحدى المرات صرّح المتقدم في الهراطقة آريوس بمعتقد إيمان مسيتقي الرأي ووافق

على قبول قانون الإيمان النيقاوي، لكن القديس أثناسيوس رفض قبوله في الشركة لأنه كان يعلم أن آريوس كان في فكره يعيد تفسير قانون الإيمان ليتوافق مع بدعته الخاصة به. كذلك الأمر، إبيفانيوس النبيل، الذي كان يتكلم بإسم فريق المشيئة الواحدة (المونوثيليت)، قدّم إعتراف مستقيم الرأي للقديس مكسيموس المعترف:

"قل لنا، أيها العجوز الشرير الذي يسكنه شيطان، لماذا تعتبر الإمبراطور ومواطني العاصمة أنهم هراطقة؟ نحن مسيحيون أكثر منك، وأرثوذكسيون أكثر منك،" كان يهتاج. "في المسيح يسوع ربنا نعترف بمشيئة إلهية وبشرية ونفس عقلانية. إن القدرة التشغيلية هي أمر جوهري بالنسبة للكائن الواعي، تماماً كما هي المشيئة بالنسبة للعقل، وكل طبيعة عقلانية تمتلك قوة إرادة وقدرة تشغيل تتطابق مع ذاتها. نحن نعترف أن الرب لديه القوة أن يشاء وفقاً للاهوته وناسوته ولا ننكر ان له مشيئتين وفعلين."[40]

ولكن القديس مكسيموس المعترف رفض القبول بهذا المعتقد الأرثوذكسي الممتاز، لأنه كان يعلم أنه مرائي وأن أتباع المشيئة الواحدة استمروا في نشر بدعتهم واضطهاد كل من لا يتفق معهم.

في مكان آخر، أوطيخا (مخترع المونوفيزيتية المتطرفة) صرّح بمعتقد إيمان مستقيم الرأي حين كان يحاكم بتهمة البدعة؛ ولكن مع ذلك، القديس بيروكلوس و"مجمع إنيديموسا" القسطنطيني بأكمله وضعوه تحت الحرم لأنهم كانوا يدركون أن أوطيخا لا يصدّق بياناته الخاصة به، لكنه كان مجرّد يحاول يتحاشى أن تتم إدانته.

إحدى أمثلة التظاهر الأكثرهم دهشة في تاريخ الكنيسة يأتي من سيرة القديس نيكيتاس المعترف، وهو رئيس دير عاش أثناء فترة حرب الأيقونات في القرن التاسع. نقرأ:

في نهاية المطاف، أدرك الهراطقة الملحدون أن الأباء [رؤساء الأديرة الأرثوذكسيين الذي رفضوا القبول بمحاربة الأيقونات] فضّلوا الموت على الإرتداد، فاقترحوا عليهم باحتيال، "فقط تناولوا مرة واحدة في الكنيسة مع البطريرك ثيودوتوس [بطريرك القسطنطينية المحارب للأيقونات]، ويمكنك العودة إلى أديرتكم. استمروا بالإيمان كما تريدون. لن يُطلب منكم شيء آخر."

وإذ خُدعوا من قِبل الهراطقة الأشرار، وافق الأباء الأخرون. لاحقاً أدركوا أنهم قد تم تضليلهم، وتابوا بمرارة وأصلحوا طرقهم. ولكن قبل ذلك، وإذ أُطلقوا من القيود والسجون، قاموا بزيارة أبينا الموقر نيكيتاس وترجّوا منه أن يدخل في شركة مع ثيودوتوس. أراد القديس نيكيتاس أن يبقى في زنزانة حيث كان يتكبد العذاب لأجل المسيح، لكن الأباء أصرّوا، "لا يمكننا أن نتركك هنا حين الأمر الوحيد المطلوب منا هو هو أن نتناول الأسرار من ثيودوتوس. معتقد إيماننا يبقى دون تغيير. التمييز هو ضروري في هكذا ظروف صعبة. من الأفضل أن تساوم في أمر صغير على أن تخسر كل شيء."

الخيار الذي كان يواجه نيكيتاس الإلهي شكّل مسألة حياة وموت. لم يكن خائفاً من المعاناة والعذابات، وفضّل الموت من أجل الإيمان الأصيل على الحياة، لكن احتراماً لسنّهم المتقدم، سمع من الأباء الموقرين لأنه عرف جيداً قناعاتهم الأرثوذكسية وحياتهم البارة. في نهاية المطاف، اتعبوه فخضع لهم. ذهب نيكيتاس ورؤساء الأديرة الأخرين برفقة البطريرك المزيف إلى كابيلا مزينة خصيصاً بالأيقونات، وهي أفضل طريقة لخداعهم. فثيودوتوس فكّر في نفسه انهم حين يرون الأيقونات المقدسة، سوف يستنتج الرؤساء أنه اعتنق الأرثوذكسية. احتفل القداس الإلهي معهم وناولهم الأسرار، معلنا قبل ذلك وللجميع: "أناثيما على كل من يرفض تكريم أيقونة المسيح." تكلّم المرائي هكذا ليس لأنه كان يكن الوقار لأيقونة المخلص، بل ليضمن أن الرؤساء سوف يدخلون معه في الشركة.

بعد ذلك، عاد الرؤساء إلى أديرتهم، لكن نيكيتاس الإلهي حزن لأنه دخل في الشركة مع ثيودوتوش البطريرك الكاذب والمتظاهر (المدّعي). فهو اعتبر أن انحراف صغير عن الطريق المستقيم بالنسبة له لا يختلف عن الضلال الكامل. وفي نهاية المطاف، عاد القديس إلى القسطنطينية حيث أعلن للإمبراطور:

"أنوي من الآن وصاعداً أن أبقى ثابتاً على معتقد الإيمان الذي تمسك به أبائي. والله شاهدي أنني نادم على ما فعلت وأتوب عنه. من الآن فصاعداً لن اكون في شركة معك أي كان السبب. بالأحرى، سوف أتمسك بتقاليد الأباء القديسين كما استلمتهم منذ البدء."[41]

نستعلم من هذه القصة عدة دروس. أولاً، أن المرء لا يمكنه أن يبرّر الشركة مع الهراطقة على أساس كم هو مفيد أو نافع لنا أو للأخرين. ثانياً، أن آباء الكنيسة اعتبروا أن الشركة مع الهراطقة أمر يساوي اعتناق الهرطقة بحد ذاتها: حتى ولو كان لدينا معتقد إيمان مستقيم الرأي، لن ينفعنا ذلك إطلاقاً إلاّ إذا قطعنا الشركة مع أساقفة هراطقة. وثالثاً، انه حتى ولو وضع الهرطوقي على نفسه كل مظاهر إستقامة الرأي، لا يجوز على المرء أن يتناول أو يدخل في شركة معه إلى حين أن يتوب بصدق وتبرّره الكنيسة من حتى أصغر شك بالهرطقة.

في الجلسة الأولى من المجمع المسكوني السابع، واجه الأباء مشكلة التظاهر بشكل مباشر:

قال المجمع المقدس، "إذا الأساقفة الآن الذين هم تحت الإستجواب يعطوا الموافقة لنا من كل قلوبهم، شكراً لله ولهم؛ لكنهم إذا لجأوا إلى التظاهر، فليدينهم الله كما فعل مع آريوس ونسطوريوس وآخرون مثلهم." الأساقفة الذين تحت الإستجواب قد وضعوا أنفسهم تحت لعنة، قائلين: "لن نلجأ لأي تظاهر. إذا نحن لا نعترف كما تفعل الكنيسة الجامعة، فلنتحمّل أناثيما الآب والإبن والروح القدس."

لا يمكن للهرطوقي أن يقبل به الأرثوذكسيين فقط لأنه يقوم بإعتراف إيمان مرائي أو يُسمع وكأنه أرثوذكسي غامض. فكما تشهد أعمال المجمع المسكوني السابع، يجب على الهرطوقي أن يضع الأناثيما على كل شكل من بدعته ويبرهن أنه تاب بصدق. فقط عندها يتم قبوله مجدداً في الكنيسة. وهذا الأمر ينطبق أكثر بكثير على قادة البدعة، مثل برثولماوس القسطنطيني وكيرللس الموسكوفي[3] الذين سبق لهم وتورطوا بنشاط في الترويج للهرطقة وتخريب الأرثوذكسية طيلة حياتهم تقريباً. الأساقفة المسكونيون بين الحين والآخر يصدرون بيانات مكتوبة بدقة تقع على الأذان وكأنها أرثوذكسية ليس لأنهم يعتنقون الحقيقة، بل لأنهم يريدون أن يمنعوا ذوي التقويم الجديد المتحفّظين من الإنضمام لكنيسة التقويم القديم.[42] وأن هذا الأمر هو صحيح تدعمه الحقيقة أنه بشكل عام، هؤلاء الأساقفة يعارضون أتباعهم المتحفظين على كل منعطف، لدرجة توبيخهم أو معاقبتهم حين يعارضون بصوت صاخب على الهرطقة الشائعة في كنائسهم.[43]

الجزء الرابع: كنيسة التقويم القديم، أو المسيحيين الأرثوذكسيين الأصيلين

عندما تم تبنّي التقويم الغريغوري في اليونان عام ١٩٢٤، أكثر من مليون من المؤمنين رفضوا القبول به، مختارين بدل ذلك قطع الشركة مع الرئاسة المنشقة. بالرغم من أن عدد لا يستهان به من الأساقفة كانوا يتعاطفون مع ذوي التقويم القديم (لأن تغيير التقويم لم يحصل نتيجة ضغط شعبي بل بسبب ضغط من الحكومة اليونانية التي كانت تسعى إلى عصرنة وتحرير الكنيسة)، لم يكن الأمر إلاّ إلى حين العام ١٩٣٥ أن ثلاثة أساقفة رسمياً رفضوا التقويم الجديد وتولوا قيادة

[3] وكل من بطاركة الكنائس الما تسمى "الرسمية" أو "القانونية" الذين يشاركون في الحورات والنشاطلات المسكونية – المعرّب.

الأرثوذكس الأصيلين. واستجاب ذوي التقويم الجديد بخلع الأساقفة الثلاثة وشن إضطهاد شرس ضد الأرثوذكس. بمساعدة الشرطة، داهموا خِدم كنسية وقلبوا كؤوس وداسوا على الإفخارستيا ورموها في الغبار وسجنوا كهنة ورهبان وحلقوهم بعنف، واستوحشوا على المؤمنين (العديد منهم قُتل) وحرموهم أبسط الحقوق المدنية كحق الزواج وحضور الجامعة.

للأسف عدة مجموعات صغيرة لكن متكلمة انفصلت عن المجمع الرئيسي للأرثوذكس الأصيلين، الأمر الذي أنشأ خرافة شهيرة في صفوف ذوي التقويم الجديد تدّعي أن ذوي التقويم القديم اليونانيين هم منفصلون إلى نطاقات قضائية عديدة متنازعة مع بعضها البعض. ولكن هذه الفكرة هي مضلّلة لأن الأغلبية الكبرى (حوالي ٧٠٪)[4] من الأرثوذكس الأصيلين في اليونان لا يزالون في المجمع الأصلي.[44]

لقد بقي الأرثوذكس الأصيلين أمناء ليس فقط على تقويم الكنيسة، بل أيضاً على الفكر والروحانية الأبائية. ذوي التقويم القديم يزرعون التقوى التي دائماً ما كانت من صفات الكنيسة، ولكن بالإجمال تخلى عنها المسكونيون: حفظ الأصوام، قراءة الأباء، تلو الصلوات اليومية، إقامة السهرانيات الكاملة، وممارسة التقليد الهدوئي المبني هلى الصلوات الداخلية ومراقبة الأفكار. الرهبنة قوية جداً؛ وهذا الأمر هو طبيعي لأن الأديرة دائماً ما كانت معاقل الأرثوذكسية، وهي أول من قاومت البدعة كلّما ظهرت في الماضي. فعلاً، هذه هي الحالة عادةً أن الجزء ذات أقصى درجات عدم التقوى داخل الكنيسة يقدّم بدعة، والجزء ذات أقصى درجات التقوى يرفض الإبتكار. وهذه النزعة تبرهن على أصالتها في الوضع الحالي، إذ أن الأساقفة الذين تبنّوا المسكونية

[4] مع الوحدة التي حصلت في أذار ٢٠١٤ بين الجزئين الرئيسيين من مجمع الفلورينيين، أصبحت هذا النسبة تتجاوز الـ ٧٠ المئة – المعرب.

وغيّروا التقويم الكنسي كانوا علمانيين وعصرانيين وغربيين، بينما المؤمنون الذين رفضوا التغييرات كانوا الرهبان وأولئك الذين تمسّكوا بالذهنية الأرثوذكسية. هكذا هي الحال حتى في أيامنا هذه: هناك فرق ليس فقط في المعتقد، بل أيضاً في التقوى والذهنية يفصل ذوي التقويم الجديد عن ذوي التقويم القديم.

التوكيد الحادي عشر (١١). الحقيقة أن ذوي التقويم القديم هم منقسمون إلى عدة مجموعات يبرهن أنهم شقاقيون ولديهم عقلية شقاقية. تحديداً، هم يسيئون تفسير قانون الرسل ٣١، الذي يتيح الإنفصال عن أسقف بداعي "التقوى والعدالة." بتفسيرهم لهذه العبارة بأوسع نطاق ممكن، هم يسمحون للإنشقاق بأن يحصل عملياً لأي سبب.

جواب. إن الواقعة أن الإنقسامات توجد بحد ذاتها لا تعني أي شيء غير ضعف الطبيعة البشرية الساقطة. وجود عدة ديانات في العالم لا يعني أن الإيمان بالله هو شيء كاذب وأن الإلحاد هو الأمر الحقيقي. في الحقيقة، هناك ديانة واحدة هي حقيقية والآخرون هم كذبة. وجود عدة كنائس تسمي نفسها مسيحية لا يعني أن المسيحية هي كذبة، لأن كنيسة مسيحية واحدة هي حقيقة والأخرون هم كذبة. بذات المنطق، تعدد مجامع التقويم القديم لا يعني أن التقويم القديم بأكمله هي شقاقية؛ بل بالأحرى، هناك مجمع واحد هو تاريخي وأصيل بينما الآخرون فصلوا أنفسهم عنه.

علاوة على ذلك، إن ذوي التقويم الجديد والمسكونيين هم بالكاد أحرار من الإنقسامات الداخلية. فالكنيسة الأوكرانية تفتّتت إلى ثلاثة مجموعات رئيسية وعدة مجموعات صغيرة؛ كنيسة مقدونية قد أعلنت نفسها مستقلة وبالتالي البطريركيات الأخرى تتجنّبها؛ كنائس بلغاريا ومونتينيغرو كل منها ولّدت "كنائس مضادة"؛ بطريركية أورشليم لديها بطريركين لا يعترفان

ببعضهما البعض؛ وتوجد هناك مجموعة مذهلة من الفئات التائهة، تدّعي التسلسل الرسولي من واحدة أو أخرى من الكنائس الرسمية. إضافة، البطريركيات الرسمية غالباً ما هم عدائيين بقسوة تجاه بعضهم البعض، وبطريركية القسطنطينية تحديداً لديها النزعة بحفر ودعم كنائس مستقلة غير قانونية داخل النطاق الجغرافي التاريخي للبطريركيات الأخرى، وخاصة بطريركية موسكو.

صحيح أن القانون الرسولي ٣١ قد يتم تفسيره بطريقة ما تسمح بحصول إنشقاق عملياً لأي سبب. ولكن، على أقل تقدير، هذا القانون يتيح بالإنفصال على أساس البدعة (إذا لم يكن الأمر كذلك، تكون عبارة "لأسباب التقوى والعدالة" ليس لها معنى إطلاقاً)؛ وذوي التقويم القديم هم منفصلين عن ذوي التقويم الجديد لأسباب البدعة. وإذا كان هناك مجموعة صغيرة قد غادرت كنيسة التقويم القديم التاريخية مستخدمة هذا القانون كتبرير لها، فهذا الأمر ولا بأي حالة يسيء إلى ذوي التقويم القديم كمجموعة كاملة، لكن فقط لأولئك الأشخاص الذين يسيئون تطبيق هذا القانون.

التوكيد الثاني عشر (١٢). الجسم الرئيسي لذوي التقويم القديم قد تُرك دون أساقفة عام ١٩٥٥. هذا يظهر أن الله قد تخلّى عنهم.

جواب: لقد أدى بنا الأمر إلى هذا المأزق نتيجة الإضطهاد العنيف والدموي من قِبل ذوي التقويم الجديد الذي استخدموا القوة لجبر الأساقفة الضعفاء من كنيستنا على الإنضمام إلى كنيسة التقويم الجديد المنشقة. في نهاية المطاف، بقي خريسوستوموس أسقف فلورينا أسقفنا الوحيد، وعندما مات عام ١٩٥٥ بقينا دون أساقفة. إن كنيستنا ليست هي الكنيسة المحلية الأولى التي عانت هكذا مصيبة. هناك عدة حالات في التاريخ حيث الكنيسة حرفياً قد اضطُهدت إلى درجة الخروج عن الوجود: على سبيل المثال تلك التي كانت ذات مرة مزدهرة في

شمال أفريقيا احتلّها المسلمون الذي شنّوا اضطهاداً قاسياً لدرجة أن اليوم ليس هناك من مسيحي أرثوذكسي واحد باقي حيث ذات مرة كان هناك ملايين. بدل أن تسئ لسمعة ذوي التقويم القديم، هذه الحالة المؤسفة بالأحرى تسيء لسمعة ذوي التقويم الجديد الذي لجأوا إلى العنف لكي يفرضوا ابتكارهم. يجب أن نذكر أيضاً أن الحقيقة أن ذوي التقويم القديم اليونانيين كانوا دون أساقفة لمدة خمسة سنوات لا تعني أنهم توقفوا عن كونهم كنيسة محلية شرعية. أثناء القرن السادس عشر، جميع الأساقفة في روسيا الصغرى أصبحوا توحيديين (يونياتيين Uniates، أي روم كاثوليك – المعرّب) وبقي المؤمنون دون أساقفة، لكن الأرثوذكسية لم تتوقف عن الوجود. كذلك الأمر، في سيرة القديس مكسيموس المعترف، نقرأ أن المونوثيليت (هراطقة المشيئة الواحدة) سألوا القديس:

"إلى أي كنيسة تنتمي: إلى تلك التي في بيزنطية، روما، أنطاكيا، الإسكندرية، أو أورشليم؟ جميع هذه الكنائس والولايات التابعة لها هم على توافق. فإذا أنت تنتمي إلى الكنيسة الجامعة، عليك أن تدخل في شركة معنا حالاً، لكي لا تصيغ لنفسك طريق جديد وغريب وتقع في كارثة غير متوقعة." أجاب رجل الله بحكمة: "المسيح الرب يعترف بأنها جامعة تلك الكنيسة التي تحافظ على معتقد الإيمان الأصيل والمؤدي إلى الخلاص. لكن قولوا لي: على أي أساس جميع هذه الكنائس، كما تقولون، قد دخلت في شركة؟ إذا على أساس الحقيقة، فأنا لا أرغب بالإنفصال عنها."[45]

عندما قيل للقديس أن الأمر لم يكن على أساس الحقيقة، لكن على إتفاقية في البدعة كانت البطريركيات متحدة بها، رفض أن يدخل في شركة معهم، حتى ولو كان ذلك يعني أنه سيبقى تحت ولا أي أسقف إطلاقاً. في مناسبة أخرى، حين سئل سؤالاً شبيهاً، أجاب: "يمكن للعالم بأجمعه أن يدخل في شركة مع البطريرك، لكنني لن أقوم بذلك. يقول لنا الرسول بولس أن الروح القدس يضع الأناثيما حتى على الملائكة الذين يبشرون بإنجيل جديد، أي، بتبنّون تعاليم

جديدة."[46] إن كنيسة التقويم القديم، إذ تمتثل بروح القديس مكسيموس الإعترافية، وجدت نفسها لفترة قصيرة في موقف شبيهاً بموقفه. لكن الله بارك كنيستنا على صمودها بوجه المحن، إذ كانت النتيجة أن الكنيسة الروسية في المهجر شرطنت لنا أساقفة واعترفت بكنيستنا رسمياً أنها قانونية.

التوكيد الثالث عشر (١٣). الجسم الأساسي من ذوي التقويم القديم استعاد أسقفيته عام ١٩٦٠ من الكنيسة الروسية في المهجر، التي في ذلك الوقت كانت في شركة كاملة مع كنائس التقويم الجديد. لهذا السبب ذوي التقويم القديم يناقضون أنفسهم، قائلين تارةً أن كنيسة التقويم الجديد هي هرطوقية بينما تارة أخرى هم يقبلون الرسامة من كنيسة هي في شركة مع ذات الهراطقة. إن ذوي التقويم القديم هم مذنبون باستخدام الغاية لتبرير الوسيلة.

جواب: حين تقع كنيسة في بدعة أو انشقاق، هذا لا يعني أوتوماتيكياً أن جميع الكنائس التي تؤمن بصواب واللواتي هم بشركة مع الكنيسة المخطئة أنهم سوف يقطعون فوراً من الكنيسة. هناك فترة من الزمن (تمت مناقشتها تحت التوكيد ٣) تبقى أثناءها الكنيسة المؤمنة بصواب وبداعي الضرورة في شركة مع الكنيسة المهرطقة أو المنشقة، تماماً كما ان هناك فترة من الزمن يقوم أثناءها مؤمنو الكنيسة المحلية بالتأكد من وجود بدعة داخل كنيستهم والتي يجب على المرء الإنفصال عنها. وإذا كانت الإتصالات البطيئة، وعدم الإكتراث للعلاقات الخارجية، والمشاكل الداخلية التي تشغل اهتمام الأساقفة، وصعوبة إدانة الأحداث خارج نطاق عمل الشخص تمنع أعضاء كنيسة محلية من قطع الشركة فوراً مع الأسقف المهرطق، فالحالة هي هكذا بل وأكثر بكثير عندما يختص الأمر بأساقفة كنيسة مستقلة أخرى. كل كنيسة محلية تتطلب فترة ما من

الزمن، تختلف وفقاً للظروف، للتأكد إذا كانت كنيسة محلية أخرى قد وقعت فعلاً في الهرطقة أو الإنشقاق، أو إذا هي مجرد مذنبة بتجاوز ما أو سوء تفاهم.

إن الكنيسة الروسية في المهجر في سنواتها الأولى بالكاد كانت في موقف يتيح لها أن تقوم بتحليل للتداعيات اللاهوتية لبدعة المسكونية والتقويم الجديد، بما أنها كانت ببساطة تحاول البقاء على قيد الحياة وتعيد بناء هيكلية لحياة كنسية طبيعية بعد الهروب من الشيوعيين. فقط بعد عقود عدة عندما استقر وضعها الداخلي كفاية استطاعت الكنيسة في المهجر أن تقيّم مسألة المسكونية والتقويم الجديد. وعندما قامت بذلك، استنتجت إن المسكونية هي هرطوقية. لهذا السبب هي قطعت العلاقات مع الكنائس المسكونية والتقويم الجديد، ودخلت في شركة كاملة مع كنيستنا، وأصدرت بعد ذلك الأناثيما ضد المسكونية.[47]

الجزء الخامس: خاتمة

إن مقال الأب باسيل، وبصورة موسعة جميع هجمات التقويم الجديد التي تستخدم حجج شبيهة لتلك الموجودة في هذا المقال، يفشل في تقديم الدعم الأبائي الضروري ليبرهن أنه يجب على المرء أن يبقى في شركة مع الهراطقة الغير مدانين. وهو بالتالي يفشل في إدانة ذوي التقويم القديم بأنهم خالفوا الشهادة الأبائية. دراسة ممعنة للأدلة تُظهر أن موقف الأرثوذكس التقليديين هو مبرّر بالكامل. إن الهرطقة يتم تعليمها على مستويات متعددة داخل الأرثوذكسية الدنيوية – أهمّها على المستوى الأسقفي – والإجماع الأبائي هو أن على المرء يجب أن ينفصل من الشركة مع هؤلاء الذين يبشرون نقيض التقاليد التي تسلمناها من الأباء.

ليس فقط أراء ذوي التقويم المتحفّظين مثل الأب باسيل هي مخطئة، بل أيضاً أسلوبهم في الجدال. هم يرفضون حُكم الكنيسة بأنه غير مناسب، ومن ثم يبحثون التاريخ الكنسي وكتابات الأباء ليجدوا حالات إستثنائية يمكن توظيفها ليدافعوا عملياً عن أي نظرية مفضلة لهم. وبعد ذلك يقومون بصياغة هذه الإستثناءات إلى قاعدة جديدة ويشهّرون بأولئك الذين يتمسّكون بما علّمته الكنيسة دائماً. ولكن ما هي القاعدة المعمول بها في الكنيسة؟ ليس شيء إلاّ الإجماع الأبائي *Consensus Patrum*، أي الصوت الجامعي للأباء المتوافقون مع بعضهم البعض. وبما أن حقائق الأرثوذكسية تجد تعبيرها الزمني النهائي في الإجماع الأبائي وفي تقليد الكنيسة العريق، يجب أن يكون الأمر واضحاً أن صياغة أفكار جديدة مبنية على استثناءات عوضاً عن القاعدة، على أراء الأقلية بدل أراء الأغلبية، وعلى انحرافات بدلاً من القاعدة يعني رفض لكل فكر أباء الكنيسة. بمعنى آخر، هذه عقلية غير أرثوذكسية، وهي تلك التي تم توظيفها مراراً لتبرير البدعة، وهي بحد ذاتها نوع من المنهجية الهرطوقية.

ليس هناك أي شك أنه من السهل أن نكون راضين على أنفسنا، ومرتاحين بإفراط مع الهيكلية المعمول بها في الكنيسة ونستنتج أن الحركات الهرطوقية الواسعة النطاق التي تنبع من داخل الكنيسة هي أمر من الماضي – فبعد كل شيء، لقد سبق ومرّ عدة قرون منذ أن اعتنقت مجموعة كبيرة من الأساقفة بدعة جديدة، ويمكن لمرور الزمن أن يخلق شعورا ما من الأمان. ولكن ليس هناك أي سبب يمنع من نشوء بدعة اليوم تهدد بالسيطرة على الكنيسة، كما في الماضي الكنيسة كاد أن يطغى عليها الآريوسيون والمونوثيليت والهراطقة الآخرين. لا يمكن لأبواب الجحيم أن تقوى على الكنيسة، ولكن أجزاء كبيرة منها بكل تأكيد يمكن أن يرتدّوا عنها، وبالفعل قد فعلوا ذلك. إن الممانعة في قبول هذه الحقيقة، أضف إليها ربما المضايقات الحتمية التي تنشأ من

عدم كونهم جزءاً من مؤسسة يعترف بها العالم الساقط هو أمر يمكن أن يؤدي بأشخاص صادقون وذوي نوايا حسنة إلى موقف بالجوهر ترفضه الكنيسة. ولكن القراءة الصادقة والمواظبة لتاريخ الكنيسة وأعمال الأباء (ضمن مضمون الوفاء للكنيسة للتقليد المقدس وأسلوب حياة تقية) سوف يوضّح التعليم الأرثوذكسي في ما يختص بكل نزاع لاهوتي. إن الشخص الذي يمتلك عزم كامل بأن يعمل وفقاً لما يمليه عليه ضميره وحتى حين ذلك يتضمن تضحيات سوف حتمياً يعتنق الموقف الذي يتمسك به الأرثوذكس التقليديين: سوف يقطع الشركة مع تلك الكنائس التي تعلّم البدعة، وسيضع نفسه تحت أساقفة يعترفون بالأرثوذكسية في ضبطها الأصيل والرسولي.

ملاحظات

---

* نقلها إلى العربية مايكل شقرا عن النص الأصلي بالإنكليزية الموجود على الرابط التالي:
http://www.hotca.org/orthodoxy/orthodox-awareness/236-why-the-true-orthodox-are-truly-orthodox

[1] أمثال ٩-٨:٩

[2] هذا الأمر هو مذكور في التعليقات الأساسية لهذا القانون في كتاب القوانين الكنسية.

[3] *The Rudder,* First-Second Council, Canon 15, p. 471

[4] تيطس ١١-١٠:٣

[5] تمّت إضافة التأكيدات؛ وكذلك في كل مكان

[6] كبريانوس القرطاجي، الرسالة ٧٣، ١٠,٣,١٧٣

[7] كبريانوس القرطاجي ٧٤، ٤١-٢,٣,٣٧

[8] المرجع السابق ١٠٥-٥,٣,١٠١

[9] المرجع السابق ٩٣-٦٩,٢,٨٩

[10] St. Maximus the Confessor, *Disputation with Pyrrus*, 220.

[11] وبيرّوس شخصياً في المجمعين الأخيرين

[12] القديس ديمتريوس روستوف، **المجموعة الكبرى لسير القديسين [بالإنكليزية]**، المجلد الخامس، ص. ٣٨٠.

[13] Καλλινίκου Μοναχού, *Βίος Ἁγίου Ὑπατίου τοῦ ἐν Ρουφινιαναῖς*, ed. G.J.M. Bartelink, *Vie d'Hypatios* (*Sources Chrétiennes* 177. Paris: Éditions du Cerf, 1971): 32.12–14.

[14] Στεφάνου Διακόνου, *Βίος Ἁγίου Στεφάνου τοῦ Νέου*, ed. M.-F. Auzépy, *La Vie d' Étienne le Jeune par Étienne le Diacre* (*Birmingham Byzantine and Ottoman monographs* 3. Aldershot/Brookfield: Variorum, 1997): 44.9–23

[15] Mansi, 12, 1011c.

[16] المرجع السابق، 1022c

[17] المرجع السابق، 1050d

[18] المرجع السابق، 1050e

[19] *Conciliorum Oecumenicorum Generaliumque Decreta,* 310.38–41.

[20] ANF vol. 5, p.400

[21] نقطة توضيح يجب أن تُذكر هنا: إذا أسقف معزول يبشّر بالبدعة، يمكن للمرء ان يفسر القانون ١٥ من المجمع الأول –الثاني وكأنه يسمح بوقف الشركة مع ذلك الأسقف؛ لكن ليس بالضرورة مع كل زملائه الأساقفة إلى حين أن يخضع ذلك الأسقف لمحاكمة قانونية نتيجة بدعته. يبدو الأب باسيل وكأنه يعني أن ذوي التقويم القديم قد ارتكبوا خطأ وقف الشركة مع مجامع بكاملها لمجرّد أن أفراد قلة كانوا في الخطأ. ولكن هذا ليس صحيحاً، لأن مؤسسة البطريركيات بأكملها قد اعتنقت البدعة (كما ستبرهن هذه الدراسة). ولا أي مجمع من المسكونيين أدان أسقف عضو للتبشير بالبدعة التي يتبنّونها فيما بينهم. العملية المعيارية للمحاكمة القانونية تكون صالحة فقط إذا المجمع بحد ذاته كان أرثوذكسياً. وبرهان على أن هذه هي الحال ظهر عندما أوغسطينوس متروبوليت فلورينا، وهو من ذوي التقويم الجديد المتحفظين، تقدّم بتهمة رسمية بالهرطقة ضد ستيليانوس متروبوليت أوستراليا على المسكونية المتطرفة لهذا الأخير. البطريركية المسكونية حتى رفضت أن تجلب القضية أمام المحكمة بالرغم من أن إتهامات متكررة قد حصلت على فترة سنوات عديدة. وهذا الأمر قد حصل لأن بالطبع البطريركية وافقت على مسكونية المتروبوليت ستيليانوس. عندما مجمع بكامله يعتنق الهرطقة، على المرء أن يقطع الشركة مع المجمع بكامله.

[22] يمكن للمرء أن يعترض بحجة أن في الحقيقة عدة أفراد داخل الكنيسة علّموا الهرطقة ولكن بالرغم من ذلك لم توقف الشركة معهم؛ على سبيل المثال، أوريجينوس أو ثيودور موبسيوسته. لكن الأمر الجوهري هنا هو ان هكذا أفراد تكلموا تماماً كأفراد، وليس كمجامع، وأن الكنيسة في مجملها لم تصاب بعدوى أخطائهم. مع ذلك، أوريجينوس (الذي كان فقط كاهن) تمت إدانته بينما كان لا يزال على قيد الحياة وذلك من قِبل أسقفه ديمتريوس ومجدداً في المجمع المسكوني الخامس. أما أخطاء ثيودور موبسيويسته فهي لم تلقى إنتباهاً عند عامة الشعب إلى بعد وفاته. وعندما تمت دراسة أرائه عن كثب، تمت إدانته أيضاً في المجمع المسكوني الخامس. إن وحدة المعتقد الأرثوذكسي والعضوية في الكنيسة تدلان على الإعتراف العلني للإيمان بقدر ما تمتحنه الكنيسة. الأراء الخاصة للفرد، مهما كانت على خطأ، لا تفصله عن الكنيسة (بالرغم من أنه سوف يؤدي جواباً عنها أمام الله).

[23] ANF vol. 14, p.127

[24] المرجع السابق، p. 185

[25] المرجع السابق، p. 405

[26] ANF vol. 5, p.123

[27] ANF vol. 6, pp.148-9

[28] راجع St. Dionysios the Aereopagite, *The Divine Names X;* St. Basil the Great, ***On the Holy Spirit*** *XXVII.* 66 PG 32 19A-B; and St. Maximus the Confessor, ***The Fifth Century of Various Texts,*** *The Philokalia,* vol.2, p.272

[29] جدل آخر حصل نتيجة تبنّي التقويم الجديد كان محو ثلاثة عشر يوماً من السنة الليتورجية عام ١٩٢٤.

[30] لوثائق واسعة النطاق، أنظر Patrick Viscuso, *A Quest for Reform of the Orthodox Church,* Inter-Orthodox Press, 2006.

[31] ينقسم التقويم الكنسي إلى جزئين: المينولوجيون (أو الميناون) وهو التقويم للأيام المتتالية في السنة؛ والباسكاليون (النظام الفصحي) الذي يحدد تاريخ الدورة الفصحية. تبنّى ذوي التقويم الجديد المينولوجيون الجديد ولكن ليس الباسكاليون الجديد (باستثناء كنيسة فنلندا التي اعتنقت الباسكاليون الجديد أيضاً – المعرّب).

[32] هذا التوكيد هو ليس للأب باسيليوس لكنه وُضع هنا لأنه غالباً ما يتم التداول به.

[33] البرشان هو الخبز الغير مخمّر الذي يستعمله اللاتين للإفخارستية. أُدين استعماله بمثابة تهويد من قِبل الكنيسة الأرثوذكسية، التي تستعمل الخبز المحتوي على الخميرة.

[34] تدل وثائق من عقد الـ ١٩٢٠ أن السبب في تبنّي نسخة عن التقويم الغريغوري مختلفة قليلاً لم يكن لتخطّي أناثيما عام ١٥٨٣ (التي تم تجاهلها) بل لتحقيق دقة علمية أكثر. فقط منذ زمن قريب ادّعى البعض أن الفرق البسيط بين التقويمين يعفي ذوي التقويم الجديد من الأناثيما التي وضعها عليه الأباء. ولكن حتى إذا أراد الإصلاحيين تجاوز الأناثيما (وفي نفس الوقت يستمرون في تحقيق الأهداف المسكونية) بتبنّي تقويم مختلف قليلاً عن ذاك التي تمت إدانته بوضوح، يجب على المرء ان يرى هذه الخطوة على حقيقتها: فهي حيلة خبيثة هدفها خداع من هم ضعيفي التفكير.

[35] أنظر "بيان بار The Barr Statement" على هذا الرابط:

https://www.oikoumene.org/en/resources/documents/wcc-programmes/interreligious-dialogue-and-cooperation/christian-identity-in-pluralistic-societies/baar-statement-theological-perspectives-on-plurality

[36] رسالة يهوذا ١:٣

[37] الإعلان الأرثوذكسي – الكاثوليكي المشترك لقداسة البابا بولس السادس والبطريرك المسكوني أثيناغوراس الأول؛ موجود على http://www.vatican.va/holy_father/paul_vi/speeches/1965/documents/hf_p-vi_spe_19651207_common-declaration_en.html

[38] القديس ديمتريوس روستوف، **المجموعة الكبرى لسير القديسين [بالإنكليزية]**، المجلد الخامس، ص. ٣٧٠ – ٣٧١.

[39] هذه البيانات تنطبق بالتساوي على رئيس أساقفة أثينا خريستودولوس، الذي كان لا يزال على قيد الحياة عندما كتب الأب باسيل هذه الأطروحة، لكنه مات منذ ذلك الحين.

[40] القديس ديمتريوس روستوف، **المجموعة الكبرى لسير القديسين [بالإنكليزية]**، المجلد الخامس، ص. ٣٧٤.

[41] القديس ديمتريوس روستوف، **المجموعة الكبرى لسير القديسين [بالإنكليزية]**، المجلد الثامن.

[42] إحدى التكتيكات الشائعة للمسكونيين في العقود العديدة الماضية كانت تتضمن الإدلاء ببيانات أو إعلانات هرطوقية كانت تُقدّم للغير أرثوذكس وكأنها رسمية، لكن يدافعون عنها بمثابة "غير–ملزمة" حين يسألهم عنها ذوي التقويم الجديد المتحفظين. بهذا الكلام المزدوج، كانت الأجندة المسكونية عند الغير أرثوذكسيين تتطور بشكل مرضي؛ وأغلبية المؤمنين الذين يقبلون بها في الكنائس المسكونية كانوا يعتقدون أن الخط المسكوني هو المعياري بالنسبة للكنيسة؛ ولكن بنفس الوقت كان المتحفظين يُعطوا رشوة لتخفف من وخزات ضميرهم، وتسترضيهم ليعتقدوا أنه لم يحصل أي خيانة "رسمية" للإيمان. يجب أن يكون واضحاً أن هذا النوع من التصرّفات هو تماماً ما أدانه الأباء والمجمع المسكوني السابع.

[43] حتى عندما يكون المعارض أسقف. في العام ٢٠٠٩، أوقف ديموميد أسقف أنادير وشوكوت عن العمل لأنه أصر أن الحركة المسكونية هي هرطوقية وأن بطريركية موسكو يجب أن تنسحب من مجلس الكنائس العالمي.

[44] الكنيسة الأرثوذكسية الأصيلة برئاسة خريسوستوموس الثاني رئيس أساقفة أثينا. [منذ ٢٠١٠ يترأسها كالينيكوس رئيس أساقفة أثينا وسائر اليونان – المعرّب].

[45] القديس ديمتريوس روستوف، **المجموعة الكبرى لسير القديسين [بالإنكليزية]**، المجلد الخامس، ص. ٣٦٦.

[46] المرجع السابق، ص. ٣٨٠.

[47] يمكننا أن نرى مثالاً عن هذا المسار في شخص القديس يوحنا ماكسيموفيتش. عندما حصل تغيير التقويم عام ١٩٢٤، كانت ردة فعله الأولى إدانة التقويم الجديد لكن دون الموافقة على فصل الشركة حول هذه المسألة. ولكن بحلول الستينات، حين لاحظ مباشرة نوايا ذوي التقويم الجديد والأرثوذكسية الصلبة لدى ذوي التقويم القديم، دعم رسامة أساقفة لكنيستنا وتأسيس شركة معنا. ولكن بكل وضوح، ملاحظاتنا هنا ولا بأي شكل تبرّر المسار الحالي للكنيسة الروسية في المهجر، التي دخلت الآن في شركة مع المسكونيين الهراطقة بعد عقود من الإنفصال عنهم.